## للحقيقة والتاريخ

# ما لا تعرفه عن ثورة يوليو

من ٢٣ يوليو سنة ١٩٦١ حتي ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠

لطفى عبد القادر

الجزء الثاني

## الإهداء

أهدى جهدى المتواضع هذا الذى يمثل أصدق ما كتب عن هذه الحقبة الهامة من تاريخنا المعاصر إلى راصدى التاريخ من العلماء لعله يساعدهم على كتابة التاريخ الحقيقى والدقيق لهذه الفترة الهامة من تاريخ مصر.

لطفى عبد القادر

اسم الكتاب: مالا تعرفه عن ثورة يوليو

اسم الكاتب: لطفى عبد القادر

الناشــــر: مكتبة مدبولى ـ ٦ ميدان طلعت حرب ـ ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ ٥٧٥٦٥٥ الناشــــر: مكتبة مدبولى

تصميم غلاف:

الجمع التصويري والتنفيذ: محمد رمضان ت: ٣٦٤٨٥٥٥

#### المقدمة

### عزيزي القاريء

قسمنا مسار ثورة يوليو إلى ثلاث مراحل. الأولى فترة الإنجازات التى انتهينا في الجزء الأول من كتاب ما لاتعرفه عن ثورة يوليو "عن هذه الفترة التى بدأت منذ قيام الشورة في فجر ٢٣ يوليو عام ١٩٥١ حتى ٢٣ يوليو ١٩٦١ موعد صدور القرارات الاشتراكية والثانية ـ موضوع الجزء الثاني من هذا الكتاب والتى نطلق عليها فترة الانتكاسات من يوليو ١٩٦١ حتى سبتمبر ١٩٧٠ موعد وفاة الزعيم جمال عبد الناصر. أما المرحلة الثالثة التي ستكون موضوع الجزء الثالث من ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٠ يوم أن آلت مقاليد السلطة دستوريا إلى الرئيس محمد أنور السادات وتحولت فيها الثورة من العسكرية إلى الشرعية الدستورية وبناء الديمقراطية.

ومن واقع ما تضمنه الجنوء الأول والجزء الثانى اتضحت عدة حقائق كانت خائبة تماماً، وإنما كشفتها الوثائق والمعلومات. منها أن عبد الناصر فى صراعه مع الشرق والغرب لم يكن داعية حرب وإنما كان يسعى لخلق شخصية مستقلة لمصر، ولكن الشرق والغرب تحالفا للتخلص منه وأجادا لعبة القط والفار. يتعاديان ظاهريا ويتصارعان لإخفاء تحالفهما وقد أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة بعد فوات الأوان يوم أن رفض الاتحاد السوفيتي مده بالأسلحة الهجومية عقب محنة هزيمته في يونيو ١٩٦٧ وهنا أدرك عبد الناصر خطأ سياسته فراح يغازل الأمريكان ويستغل عقدة ذنب السوفييت، ولكنه أدرك أنه يسبح في تيار عاصف وبحار عاتية هائجة ولكنها محكومة بارتباطات ومواثيق عقدت بين القوتين الأعظم سرا لم يعرف تفاصيلها وتوجهاتها، وأن ما كشفته المعركة من واقع هذه الارتباطات والمواثيق السرية هي نقطة في بحر، وأن ما خفي منها

أدهى وأمر ولكن عبد الناصر أدرك فى الوقت نفسه أن الشعب المصرى ومعظم الشعوب العربية ما زالت تضع ثقتها فيه وتنتظر منه الصمود فى وجه العاصفة الهوجاء الكاسحة، وتعقد عليه الأمل لإنقاذها من الهوة السحيقة التى سقطت فيها فجأة ودون مقدمات، ولذلك رفضت الهزيمة وطالبته بالعدول عن تنحيه عن السلطة.

ويذكر لعبد الناصر في هذه المحنة أنه استجاب لرغبة الشعب وابتلع مقالب الاتحاد السوفيتي، وكظم غيظه لرفض القيادة السوفيتية منحه الأسلحة الهجومية واكتفى باستخدام ما قدمته من أسلحة دفاعية بنى بها قاعدة الصواريخ التي قاد بها حرب الاستنزاف البطويلة التي مهدت لحرب أكتوبر المظفرة، وكان عبد الناصر بعيد النظر ثاقب الفكر عندما رفض محاسبة المتسببين لهزيمة يونيو، وتحمل هو وحده وزرها أمام الشعب فامتص بذلك غضبه الذي فاق كل حد وبات يهدد بكارثة أعنف وأشد من كارثة الهزيمة، ولكنه شغل الشعب فيما بعد بمحاكمة المستولين عنها حسكريا بعد أن استبدلهم بقادة يتميزون بالعسكرية الصارمة والاطلاع على آخر تطورات الحرب نفسيا واستراتيجيا وتكتيكيا كونت العصب القوى الذي كان له فيضل كبير في نصر أكتوبر العظيم. واستطاع بهذا العصب القوى من إزالة كل آثار هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ واستطاع بهم أن يصلح ما انكسر ويرمم ما انهدم في وقت قياسي رغم اشتنداد المرض عليه بعد هذه النهزيمة، ولو استد به العمر لمسح عار هذه الهزيسمة وأعاد عقارب الساعة إلى الأمام ويؤكد هذا الاستنتاج ما جاء في المحاضر التي نشسرها محمد خسنين هيكل في كتابه «الانفجار ١٩٦٧ التي سجل عبد الناصر فيها أن الروس سيخسرون الحرب الباردة \_ وإن كان لديهم بليون قبيلة ذرية لم تستعمل ما جاء على لسان عبد الناصر في عام ١٩٦٧ تحقق في نهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات ـ أي بعد ٢٣ عاما كما جاء في أقوال عبد الناصر أنه يعتقد أن المعركة الفاصلة مع إسرائيل ستجىء بعد سبع سنوات وقد تحققت نبوءته أيضا.

لم يكن عبد الناصر يضرب الرمل أو يفتح البخت، وإنما كان هذا استنتاجا طبيعيا بعد دراسته لعوامل هزيمته وموقف الروس وسيطرة الأمريكان عليهم. على أن السؤال الذي ما زال بغير إجابة قاطعة هو «هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا لامتصاص آثار نكسة يونيو أم كان صادقا بالفعل في التنحية؟. أن الأحداث والوقائع تشبت أن القضايا التي خالف فيها عبد الناصر ما توافق عليه أعضاء مبجلس الثورة، أو ما نادى به عدد من أعضائه قد جرت عليه نكبات كان في غنى عنها. فلو سمع رأى بعض أعضاء مجلس الثورة ومنهم عبد اللطيف البغدادي أنه من الأفضل بناء مصر وتقويتها قبل فتح ملف القضية الفلسطينية حتى نطالب بحقوقنا من موقع القوة خاصة، وأن البيان الثلاثي الذي أصدرته أمريكا وبريطانيا وفرنسا قد ضمن الحدود في هذا الوقت، ولم تكن حدودا ضارة بالقضية كما حدث بعد. ولو أن عبد الناصر سمع رأى بعض أعضاء مجلس الثورة وفي مقدمتهم كمال الدين حسين أنه من الأفضل ألا نزج بقواتنا في فياقى وقفار اليمن، وإنما نقود حرب عصابات فقط يمكن أن يحقق أهدافنا المرجوة من ثورة اليمن. وهي ترسيخ النظام الجمهوري والقيضاء على الإمامة أو الملكية التي كانت قائمة وقتذاك. وخلاف هاتين القضيتين هناك أمور كثيرة لو كان عبد الناصر حسمها طبقا لرأى الأغلبية ما كانت نكسة اليمن و لانكسة يونيو.

والغريب أن عبد الناصر ارتكب كل هذه الأخطاء وهى تخالف طبيعته. فلم يكن داعية حرب كما يحاول البعض تصويره على هذا النحو دون الغوص فى التحليل المتكامل للأحداث التى تتابعت عليه وثورته وأهدافها ومراميها

الحقيقية الآجلة والعاجلة وأسبابها ودوافعها، حتى يعرفوا لماذا حارب عبد الناصر إسرائيل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهل هو الذى بدأ بهذه الحرب أم كانت مفروضة عليه بهدف إذلاله وتقليم أظافره، وفي النهاية الخلاص منه، وكان عذره أن هدفه كان إقامة سلام يحفظ للعرب والفلسطينين كافة حقوقهم بأقل الخسائر في الأرواح والمعدات.

فى مذكرات محمد نجيب التى يصر من كتبوا التاريخ على تجاهلها - أن بعض الإسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن عبد الناصر الذى كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية فى حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة - كما أكد محمد نجيب ومحمود رياض وزير الخارجية، والذى تولى منصب الأمين العام للجامعة العربية منذ ١٩٤٩ ما نقلته الصحافة العالمية حول المحادثات السرية التى جرت فى النقب بين عبد الناصر وإيجال آلون القائد الإسرائيلي آنذاك، وقصة ضابط المخابرات الإسرائيلية كوهينى الذى التقى بعبد الناصر خمس عشرة مرة أثناء الحرب للتمهيد لمفاوضات السلام، وما أكده الأمير الاى السيد طه الذى كان يطلق عليه الضبع الأسود إظهاراً لشجاعته من أنه وعبد الناصر مثلا الجانب المصرى فى مباحثات جرت مع اليهود.

كل هذه الشهادات والوثائق تؤكد جهود عبد الناصر من أجل السلام منذ عام ١٩٤٨ حتى وفاته. وهى وثائق حقيقية هامة تؤكد أن الغرب وإسرائيل لم يفهموا عبد الناصر، ولو فهموه ماكانت تلك الحروب التى اشتعلت وما كانت الأحداث اتخذت الشكل الذى اتخذته حتى يومنا هذا. على أية حال ستظل فترة حكم عبد الناصر صندوقاً مليئاً بالأسرار، وعند حل رموزها ستتضح الصورة الحقيقية لعبد الناصر، وستكون صورة ناصعة البياض.

لطفى عبد القادر

## بعد الانفصال زادت سلبيات الثورة المصرية عن إيجابياتها ودخلت مرحلة جديدة بملامحها ونتائجها

اجتاز عبد الناصر محنة الانفصال وتمالك نفسه، ولكن المحنة تركت في نفسه غصه وفي قلبه مرارة فأثرت على صححته، وأيضا أثرت على قراراته وترجيهاته فيما بعد فصل الوحدة بين مصر وسوريا حتى وافته المنية في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ولكنه على أية حال امتص مرارته وارتفع فوق جراحه، وأعلن أمام الشعب من دار الإذاعة أن الشعب العربي لن يقبل أن تنكس أعلام القومية العربية.

وكان ذلك في يوم الانفصال في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ وهو نفس اليوم الذي لقى عبد الناصر فيه ربه عام ١٩٧٠ وفي اليوم التالى عاد إلى الشعب ليعبر له في خطاب جديد عن مرارته ومأساته بقوله «إنى أعرف أن طعنة الصديق تمزق القلب، ولكنى أطلب من الأمة أن ترتفع على شعورها بالألم» وأعلن أنه أوقف كل العمليات العسكرية وأمر جنود المظلات والأسطول بالعودة. وكان قد كلفهم بإخماد حركة التمرد في الجزء الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة كما كانت تسمى وقتذاك، وذلك تحت إمرة كمال الدين حسين، وهنا أعلن عبد الناصر أن الوحدة العربية إرادة شعبية ولن يحولها من جانبه إلى عملية عسكرية ورفع شعاره الشهير «لن يرفع عربي السلاح في وجه أخيه العربي» ولكن لم يمض على هذا الشعار عامان حتى خالفه عبد الناصر حين أمر قواته المسلحة بالتوجه إلى يمض على هذا الشعار عامان حتى خالفه عبد الناصر حين أمر قواته المسلحة بالتوجه إلى حسين، وأيده فيه البغدادي وغيره من أعضاء مسجلس الثورة، وهو الاكتفاء بحرب العصابات هناك ومد الثورة بالسلاح الذي تحتاج إليه ققط. حيث ليس من داع لتوريط الجيش المصرى في حرب ضد أشقاء لنا في اليمن، وهي الحرب التي أثقلت نفقاتها الباهظة كاهل الجماهير المصرية دون أي عائد عليهم. الأمر الذي جعلهم ينظرون إليها على أنها كاهل الجماهير المصرية دون أي عائد عليهم. الأمر الذي جعلهم ينظرون إليها على أنها حرب أقيمت لمجد عبد الناصر فقط وأنهم لاناقة لهم ولا جمل فيها.

الخلاصة أن الثورة المصرية دخلت بعد الانفصال في مرحلة جديدة بملامحها ونتائجها

وقياداتها مرحلة انفرد فيها عبد الناصر تماما بالسلطة بعد أن استقال أو أقيل جميع أعضاء مجلس الثورة الذين شاركوه بمغامرة القيام بالثورة التي لم تكن فرص نجاحها مؤكدة وكان يمكن أن تفشل ، لم يتبق مع عبد الناصر عند وفاته من أعضاء مجلس قيادة الثورة سوى أنور السادات وحسين الشيافعي وقد تخلص عبد الناصر من أعضاء مجلس الثورة على مرحلتين . المرحلة الأولى كانت عندما عزلهم وأقيصاهم عن العمل التنفيذي وجلعهم للتخطيط فيقط عندما فكر في إنشاء مجلس للرئاسة الذي لم يجتمع بصفة دورية . بل يجتمع مرات لاتتعدى أصابع اليد الواحدة . وعندما أنشأ اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي التي ضمتهم جميعا ، وهم الذين تولوا العمل التنفيذي واختص كل منهم في مجال من المجالات . فعلى سبيل المثال لاالحصر اختص عبد اللطيف البغدادي في الشتون القروية والتحطيط ، وزكريا محيى الدين في الأمن ، وأنور السادات في العمل النيابي ، وصلاح سالم للإرشاد القومي ، وعبد الحكيم عامر في الشئون الحربية إلخ .

والمرحلة الثانية عندما استعان كبدلاء لهم بعدد من المدنيين أو عدد من ضباط الصف الثانى الأحرار، وخاصة في المناصب التي لم يكونوا يستطيعون تحمل مسئولياتها. فاستعان من المدنييسن بالمدكتور محمود فورى للشئون الخارجية، وهو الذي بدأ بالسلم من أدناه وتدرج فيه إلى أن أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، واستعان بالمدكتور عبد المنعم القيسوني والشيخ الباقوري والمدكتور مصطفى خليل والدكتور عبد العزيز حسنى والمدكتور نور الدين طراف والمدكتور عزيز صدقى وأحمد حسنى وأحمد الشرباصي وغيرهم، وقد فعل عبد الناصر بهم مثلما فعل بأعضاء مجلس المؤرة. فأصبح عبد الناصر في هذه المرحلة يصدر قراراته دون الرجوع إلى أحد. وكثيرا ما كان يعلن أهم هذه القرارات فمي خطبه العامة على ذلك المجد الشعبى الذي حصل عليه في أعقاب نجاحه في كسر احتكار السلاح على ذلك المجد الشعبى الذي حصل عليه في أعقاب نجاحه في كسر احتكار السلاح وإجلاء الإنجليز ووقوفه ضد الأحلاف وغير ذلك من معارك قدر له أن يحرز فيها قصب السبق. بالإضافة إلى أنه كان نجما في كل اجتماع حضره على مستوى عالمى. فكان لجما السبق. بالإضافة إلى أنه كان نجما عدما أدى فريضة الحجم وقام بالدعوة للمؤتمر الإسلامي،

وكان نجسما في مؤتمر الدول الإفسريقية المستبقلة الذي عقد في أكسرا عام ١٩٥٨ وفي الأمم المتحدة أثناء حضور الدورة الخامسة عسشرة لها عام ١٩٦٠ وفي مسؤتمر أقطاب إفريقيا الذي عقد في الرياض في يناير ١٩٦٠.

هذا الأسلوب من جانب عبد الناصر أدى إلى أمور عديدة كانت سبباً فى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ منها أن الخوف سيطر على الجميع، وأصبح كل مسئول فى موقعه لايتصرف إلا فى حدود ما يطلب منه. فتجمدت الإدارة الحكومية وسيطر عليها الروتين الممتد، وخيم عليها الإهمال وأصبح الشغل الشاغل للعاملين البحث عن حقوقهم فقط، وأما واجباتهم فآخر ما يتطرق الحديث إليها. وزاد من هذا الخوف تلك التقارير المزيفة التى كان يلجأ إليها جهاز المخابرات بداع ومن غير داع ـ اللهم إلا الإذلال وفقدان الشخصية والإرهاب. كما أن عبد الناصر كان يستعين بالسخاص آخرين غير هولاء الموجودين فى مواقع العمل بالفعل. بحيث أصبح هؤلاء مسئولين فيقط بحكم القرار الصادر إليهم وليس شك أن مجتمعاً هذا حاله. جماهير خائفة متحفزة، وصراع ضار بين حكامه. كل يوم يسقط واحد منهم فى الساحة. وتمر الأيام والأمور تسير من سيء إلى أسوا فيضاعت مكاسب المراحل الأولى للثورة.

وأما الأمر الثانى الذى أقرزه أسلوب عبد الناصر فى هذه المرحلة فهر أن هذه المصورة شجعت المدنيين على رفض التعاون مع الثورة. كما حملت أعضاء ممجلس الثورة على التخلى عن الأمانة وأصبح منصب الوزير لامطمح فيه. فكثير رفض قبوله خوفا من خشية ما يحدث بعد قبوله إذ إن اختيار الوزراء لم يكن له قباس ثابت، وكان الشعب يفاجأ بوزراء لايعرفهم وليس لهم رصيد فى العمل العام وكثر تغييرهم وتبديلهم بلاسبب معقول لهذا التغيير أو التبديل، فالوزير الذى يقع عليه الاختيار إما أن يكون قريباً لأحد المتمتعين بثقة عبد الناصر، أو يكون قد أحرق البخور لمشورة نفاقاً وتزلقباً ورياء. ومن القصص الطريفة التى تأتى بأبلغ وصف لما نحن بصده من قصور أن صدقى البشبيشى أجد رجلل النيابة الكبار وقعال كان قد وقع فى حيرة من أمر اثنين من الأشقاء تدرجا فى المناصب

بسرعة مذهلة لا عن كدفاءة أو علم، وأنه استمر يتابع أنباءهم لعله يعرف سر النعم التى تغدق عليهما بغير حساب، وبعد عام التقينا به فى القصر الجمهورى بالقبة وكان قد حضر ليستجل اسمه فى دفتر الزيارات مع رجال النيابة فى إحدى المناسبات للثورة، وإذا به يفاجئنى بقوله له لقد كشفت سر النعم التى اغدقت على الشابين اللذين تحدثنا من قبل عنهما. . فقلت له وكيف كان ذلك؟ . . فقال . . أنت تعرف أننى أقرأ صفحة الوفيات فى الأهرام بعناية . ففى يسوم من الأيام وقع نظرى على اسم هذين الشابيان فى نعى طويل فدققت النظر فيهما فعرفت أن خالهما أحد الوزراء من الصف الثانى للضباط الأحرار، وهو ذا حظوة كبيرة لدى عبد المناصر وقتذاك . وقال فياسيدى يابخت من كان النقيب خاله وأضاف إلى ذلك قوله: هل تعلم أن الوزارة التى فى الحكم الآن بها خمسة عشر وزيرا تربطهم صلة القرابة من مختلف الدرجات الأولى والثانية والثالثة، وأخذ يعد لى أسماء هؤلاء الوزراء، وصلة القرابة التى تربطهم جميعا فتولتنى الدهشة والاستغراب من هذه المعلومات.

## راى عد الناصر فى الوزراء المدنيين الذين اختار هم الباقورى ـ القيسونى ـ مجدى حسنين ـ محمود يونس

لم تنتابني الدهشة من رواية وكيل النيابة البشبيشي لأن في الوزارة في عهد عبد الناصر وزراء تربطهم صلة قرابة. ذلك لأن كثيراً من الوزارات التي تولت المسئولية في عهده كان يطلق عليها لقب "وزارة عائلية" ولكن الذي آثار دهشتي أن الوزارة موضع حديثة كانت تتضمن خمسة عشر وزيراً تربطهم صلة قــرابة من الدرجة الأولى والدرجة الثانية والثالثة، وهو عدد كبير يزيد عن ٣/ ٤ أعضاء الوزارة وقتذاك. ومعنى ذلك أيضا أن الوزراء لم يكن تعيينهم بسبب كفاءة متميزة لديهم. وهذا لاشك كان يمثل عقبة كأداء في مسيرة ثورة يوليو، ورغم ذلك فإن الإنجازات كـانت عديدة والمشروعات العملاقة كانت تحــتل مساحة واسعة في هذا الوقت ـ وهي معادلة صعبة ـ فهـل كان بجانب عبد الناصر هيئة أخرى هي التي كانت تخطط لهذه الإنجازات وتلك المشروعات العملاقة؟ ، ربما كانت هذه الهيئة هي هيئة المستشارين التي كانت تحيط بعبد الناصر، وكان مشهود لها بالكفاءة في ميادين العمل المختلفة، وربما كان ذلك هو السبب في عدم اهتمام عبد الناصر بتعيين الوزراء في المقام الأول. وتأتى كفياءته في المقام الثاني، ولذلك سيمعنا أن الثوة كيانت تحتضن أهل الشقة ولاتهتم باحتضان أهل الخبرة. الأمر الذي جعل الضابط هو مهندس وخبير في كل شئون الدولة. وهذا موضوع آخر عطل انطلاق الثورة في تطبيق مبادئها السته الشهرة، وكان سببا في الفشل الذي انتابها في جهازها الإداري، إضافة إلى ذلك فإن رأى عبد الناصر كان يتمنيسر بطريقة فسجائية فمي الوزراء المدنيين الذين اخستارهم أعضماء في الوزاره ويتم إعفاؤهم من مناصبسهم. وقد حاولنا وقتذاك معرفة أسباب هذا التحول، ولكن أسقط في يدنا وكل الذي حدث أنه تم تعيين الباقوري مديرا لجامعة الأزهر، واستمر الرجل المفتري عليه يثرى المكتبة الدينية بأحاديثة القيمة وكتبه المتميزة بالبحث المستفيض في أمور الدين.

وما حدث للشيخ الباقوري حدث مثله للدكتور عبد المنعم القيسوني الحجة في شئون المال والاقتصاد الذي لو امتثل عبد الناصر لآرائه ونظرياته ما كانت مصر تعانى من أرمة

اقتصادية كنتلك التي تعانى منها الآن، وكانت البداية ما أشيع أيضًا من وقوع خلاف حاد بين القيـسوني وناثبه مـحمد أبو نصـير، وأن هذا الخلاف سينتـهي بترك القيـسوني وزارة (لاقتصاد، وأيضا استفسرنا ـ نحن مندوبي الصحف والإذاعة ـ من عبد الناصر عن حقيقة ما يشاع في الشارع المصرى فإذا به يجيبنا - في إصرار عجيب - بقوله : سيستمر القيسوني وزيرا للاقتصاد ما دامت الثورة قائمة ) . . وظننا أن ما سمعناه من عبـــد الناصر سينهى الخلاف القائم بين القيسوني وأبو نصير لصالحه. ولكن كانت المفاجأة أيضا أن الوزارة قد أعيـد تشكيلهـا ولم يتضمـن تشكيلها الجـديد اسم عبـد المنعم القيـسوني. . ومـا حدث للباقوري والقيسوني حدث مع مجدي حسنين مدير مديرية التحرير. فقد أخذت الصحف تمجد في مجدى حسنين مركزة على المجهود الرائع الذي بذله في استصلاح آلاف الأفدنة من أرض الصحراء بأقل النفقات، وأن مديرية التحرير أسهمت بنصيب كبير في المحصول الزراعي بالإنتاج الوفير الذي غلته. وفي هذه الأثناء كنا نسمع همسا يدور يؤكد أن مشروع المديرية فشل تماما وأن ما أنفق عليه من أموال طائلة ضاعت هباء وأن نفقات استصلاح الفدان الواحد فاقت كل جد ممكن وأن ما يراه عبد الناصر في زياراته المتكررة لمديرية التحرير من إنتاج ليس من إنتاج مديرية التحرير، وإنما يجلبه القائمون على شئون المديرية ، من أماكن أخرى كمحاولة لتغطية المصاريف الباهظة التي أنفقت على المديرية، استفسرنا من عبد الناصر كذلك فنفى ما قلناه نفيا قاطعا، ولكن بعد فترة ترك مجدى حسنين مديرية التحرير وعين سفيرا في الخارج. ربما عندما تأكد صدق الإشاعة، ولكن لأنه من أهل الثقة لم يتركه النظام بدون عـمل بسبب ما ارتكبه من أخطاء في عمله كمـدير لمديرية التحرير، أما المهندس محمسود يونس فقد أثنى عبد الناصر على كفاءته ثناء مستطابا في العديد من خطاباته للشعب، وضرب به المثل على الخبـرة المصرية التي فــاقت الخبرة الأجنبــية، وأنه استطاع إدارة قناة السويس بعد التأميم بكفاءة نادرة أدهشت العالم كله وأعددت الثقة في القناة. بحيث أخذت تدر على البلاد ما يساوى ضعف ما كانت تدره قبل التأميم. وبعد مدة أقصى عن منصب على أثر إشاعات دارات حوله وصلت إلى حد الحقيقة، وأنا أذكر أن عبد الناصــر بعد أن عين الدكتــور راشد البراوي مديرا للبنك الصناعــي، وأشيع حوله أيضا شائعات وعزل. أنه قال في إحمدي جلساته المغلقة مع أهل الثقة. . . ماذا أصنع وأنا كل من أثق فيهم تبين فيما بعد أنهم ليسوا أهلا لهذه الثقة هل أغير شعب مصر بشعب آخر.

والسؤال الآن: هل ثقة عبد الناصر بالناس كانت تتزعزع بمثل هذه السرعة، أم البيانات التى كانت تصله لم تكن تتسم بالصدق والأمانة؟ أم أن هؤلاء الأشخاص ـ ومنهم من تميز بالعلم والقدرة يروقون له ما داموا ينفذون ما يملى عليهم، ولايروقون له إذا عبروا عن رأيهم، وخاصة إذا لم يصادف رأيهم هوى فى نفسه؟ أم أن الانفصال ورد الفعل هو الذى كان يحكم تصرفاته؟ هل هذه الشخصيات بريئة بما نسب إليهم. سواء أكانوا عسكريين أو مدنيين، وأنهم كانوا ضحية دولة التقارير التى كانت سائدة وقنذاك، وأن عبد الناصر برىء من ذنبهم؟ هل كان الشرفاء منهم ضحية التآمر وتصفية الحسابات؟ بالقطع فإن المدنيين منهم كانوا لم يكادوا يتولون منصبا حتى يغرقوا فى الحصول على المال بأية وسيلة وبأسرع الطرق. تحسباً للمستقبل المظلم الذى ينتظرهم عندما يستيقظون من النوم ليقرأوا نبأ إقالتهم أو إحالتهم إلى المعاش من غير ما ذكر للأسباب والدوافع، وعلى أية حال فإن هذه نقطة ظلت دون إجابة حتى بعد انتهاء عهد عبد الناصر، وظلت الاستقالات والإقالات لغزا لم يحله أحد ـ على الرغم من كتابة العديد منهم مذكراته ولكنه لم يتعرض لأسباب إقالته أو المقبقة وأنه موجود وإنما آثر السلامة بسكوته ...

هذه نقطة لو انجلى الغموض المحيط بها ربما كشفت أسرارا جديدة من أسرار ثورة يوليو تكشف حقائق ليست معروفة بعد...

### الخطاب الذي قدم عبد اللطيف البغدادي استقالته بسببه

كان عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس الثورة ونائب رئيس الجمهورية واحدا من أعقل وأرزن أعضاء مجلس الضباط الأحرار. نال احترام الجميع وهو يسحمل الأمانة مع عبد الناصر وهو خارج الحكم بعد أن قدم استقالته وقبلت. كما كان بغدادي يتميز بالأمانة الشديدة في عمله وتعامله، ولذلك لما طلب منه أحد المواطنـين في رسالة له نشرتها أخبار اليوم أن يحدد عدد استقالاته لم يعط لنفسه ما تستحقه، وإنما ذكرها مجردة من التمجيد بمواقفه \_ كما كان يفعل غيره. فقد نشرت أخبار اليسوم في شهر أغسطس من عام ١٩٧٥ رده الذي ذكر فيه أن أولى استقالاته كانت بسبب موقف مجلس قيادة الثورة من مسحمد نجيب في أزمة ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ فقد كان الوحيد الذي اعترض على إقالة محمد نجيب، ولكنه خمضع لرأى الأغلبية التي أصرت على إعفائه. لكن لما عاد مسجلس الثورة وبحث أمر إعادته إلى منصبه نزولا على رأى الجماهير التي قامت بمظاهرات صاخبة في شوارع القاهرة مؤيدة له. عارض هذا التراجع وأيد رأيه جمال سالم. لكن باقى أعضاء المجلس قسرروا الرجسوع عن قسرارهم الأول وفي ١٤ إبريل سنة ١٩٥٤ ــ والكلام لعسبــد الللطيف البغدادي قدم استقالته ثانية في أعقاب مناقشات حادة وصاخبة وعنيفة في مجلس قيادة الثورة في الجزيرة بسينه وبين جمال عبد الناصر. وكمان قد اجمتمع لبحث أسسباب التفكك الذي حاق بأعضاء المجلس على أثر الصراع والخلاف مع محمد لمجيب وانعكاس ذلك على الشعب والجيش، وقد كانت تــلك الفترة من أعــصب الفترات التي مــرت بها الثورة في مسيرتها. بل كادت أن تؤدي إلى فشلها لولا أن عبد الناصر قضي على آثارها وأحنى رأسه للعاصفة إلى أن مرت، وبعد ذلك أخد يعــد ويخطط لكى لاتقع الثورة مرة أخرى في مثل هذا الموقف، وفي ديسمبر عام ١٩٥٧ تقدم بغدادي باستقالته من رئاسة مجلس الأمة، وبعد أشهر قليلة من تشكيل أول مجلس نيابي بعد قيام الثورة. إذ قد تم تشكيله في ٢٢ يوليو من نفس العام وألقى عبد الناصر خطابا بهذه المناسبة أعلس فيه أن هدف الثورة السادس بإقامة حياة ديمقراطية سليمة قد تحقق. وقال كان موعدنا مع نواب الشعب منذ ٥ سنوات، ولكننا خفنا من حرب الاستقلال وحرب المؤامرات وحرب تثبيت الاستقلال، وحدد في هذا الخطاب أساسيات سياسته المستقبلية في قوله: ثلاثة سبل للأمان. اتحاد يصون جبهتنا في الداخل، وعدم انحياز يصون جبهتنا الداخلية والخارجية، وقد وقومية عربية تضمن اتساع جبهة القتال على أي معتد على إحدى الدول العربية، وقد تقدم بغدادي باستقالته رغم أن الإحساس كان تاما ظاهريا بأن الثورة ستلتزم بقواعد الديمقراطية وأصولها. ولكن يبدو أن اللذي حدث كان عكس ذلك كله. فقد أقر بغدادي أنه قدم استقالته عندما أحس بأن هناك اعتداء على الدستور ، وذكر أن كمال الدين حسين قدم استقالته تضامنا معه.

ومن واقع هذه الاستقالات الثلاث التي ذكرها عبد اللطيف البغدادي ردا على رسالة قارىء تبين أن الأمور بالـنسبة له ظلت هادئة منذ قيام الثورة حــتى أرمة مارس عام ١٩٥٤ ولم تمض أيام حتى اضطربت فقدم استقالته الثانية، ثم هدأت الأمور بالنسبة له بعد ذلك لأكثر من أيام حـتى اضطربت فقدم استقالته الثانية ثم هدأت الأمور بالنسبة له بعد ذلك لأكثر من ثلاث سنوات إلى أن قدم استقالته الثالثة عام ١٩٥٧ عندما أحس بالعدوان على الدستور وهو رئيس مجلس الأمة المنوط به الحفاظ على هذا الدستور، ولكن هذه الاستقالات مرت دون حدوث أزمة ظاهرة بينه وبسين عبد الناصر. وفي رأيي أن استقالات بغدادي كانت صامتة لأنه كان حريصا على استمرار الثورة أكثر من حرصه على نفسه. فلم يشأ أن يستخدم هذه الاستقالات لإثارة المشاعر ضد الثورة وضد عبد المناصر وقد حفظ له عبد الناصر هذا الجميل حي أنه اتخذ إجراءات لإعادة بغدادي إلى الحكم بعد أن بعد عنه فـترة طويلة، ولكن المنيـة عاجلته فـبل أن تثمـر هذه الإجراءات. والاستـقالات الثلاث مرت دون ردود فعل ظاهرة، ولكن استقالة بغلبادي عام ١٩٦١ هي التي سمعت. لأنه قدم الاستقالة ولزم بيته. وأخذ الجميع يتساءل عنه في اجتماعات عقدت ولم يحضرها وكانت استقالته هذه هي الوحيدة التي عرفت أسبابها. فالذي حدث أن جمال عبد الناصر أرسل خطابا دوريا إلى كل الوزراء ومن بيسنهم بالطبع عبــد اللطيف بغــدادى ذكر فيــه أنه لوحظ وبكل أسف في الأيام الأخيرة الجرى وراء الصحف والصحفيين وتوزيع نشرات عليهم تهدف لدعايات شخصية ولأن بغدادي لم يكن من هؤلاء الوزراء الذي يعنيهم

الخطاب رد عليه بخطاب شديد اللهجة نفي فيه كل ما جاء في الخطاب وأثار مسألة الثقة التي انعدمت بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، وذكر فيه أن الذين يستخدمون المصحافة والإذاعة للدعماية ليس هو، وإنما الذي لاتخلو صمحيفة أو نشرة إذاعة من حديث له أو تصريح أو خبر. بل والذين واظبوا على إلادلاء بأحاديث وتصريحات لصحف ووكالات وإذاعات وتليفزيونات أجنبية أوروبية وأمريكية وعربية. والمقصود من هذا الكلام هو عبد الناصر نفسه وضمن خطابه هذا استقالته. أما كمال الدين حسين فقد اتخذ إجراء أخر فلم يقبل الخطاب بالمرة وتوجه بنفسه في عصبية واضحة وثورة عارمة إلى برج العرب حيث يقيم عبد الناصر وقتذاك، وأعاد إليه الخطاب محتجا على صيغته وما ورد فيه. والواقع أن عبد الناصر كان على حـق في كل كلمة وردت في خطاب، وإنما لم يكن على حق في تعميمه على الجميع، ومنهم الغالبية التي لم ترتكب هذا الخطأ، وكان يمكن أن يرسله إلى وزير بعينه أو وزيرين أو ثلاثة من الذين بالغوا في تصريحاتهم مبالغات شديدة حول ما تم من إنجازات ومشاريع، وكان منهم وزير البترول الذي كان يدلي بتصريح شبه يومي عن اكتشاف بثر جديدة للبترول. بحيث لو صحت هذه التصريحات وقدرت التقدير الصحيح لأصبحنا دولة من الدول المصدرة للبترول. ولكننا نحن لم نكن كذلك. وكنانت هذه التصريحات مخالفة للواقع من الألف للياء وتكلم عليها الشعب في مجالسة وندواته. . . ويبدو أن ذلك أثار حفيظة عبد الناصر، ولكن كان يكفي أن يلفت نظر هذا الوزير المسئول إلى الخطأ الذي وقع فيه وينتهي هذا الموضوع، على أية حال كان الخطاب بالنسبة لبغدادي بداية العد التنازلي لبقائه في الحكم. .

## حاكمت ناسا لا نهم لم يقولوا للملك لا. واخشى ان يا تى من يحكامنى لا تنى لم اقل لعبد الناصر لا

كان عام ١٩٦١ الذي صدر فيه خطاب عبد الناصر عاماً حافلاً بالأحداث الجسام عربية كانت أو افريسقية أو دولية. . قتل السزعيم لومومبا وتـــأزمت مفارضات الجلاء بيــن فرنسا والجزائر، ونزلت القوات البريطانية في الكويت عندما هدد عبد الكريم قاسم حاكم العراق يضم الكويت إلى العراق، وقامت حركة الانفصال. انف صال مصر عن سوريا ونهاية تجربة أول وحدة حديثة، وعقد مؤتمر قمة أفريقي في القاهرة ومؤتمر قمة لدول عدم الانحياز في بلجراد حيضره عبد الناصر، وتوالى على مصر قيادة أفريقينا وآسيا وهما القيارتان اللتان يضمان معظم دول عدم الانحياز وفي مقدمتهم جوزيف بروزتيتو رئيس يوغسلافيا وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند وسوكاونو رئيس أندونسيا المؤسسون لمبدأ عدم الانحياز. وكان لكل هذه الأحداث أثر على منصر وسياستها حيث تدهورت علاقات منصر مع الكونغو بسبب ما تعسرض له لومومبا من تعذيب، وبسبب اتهام مصر بإرسال مساعدات لأتصار لومومـبا. وفيمـا يختص بأزمة الجـزائر مع فرنسا أعلن عبـد الناصر تأييده للجـزائر مادياً ومعنويا وبدون قيد أو شرط، وأخد على ذلك موافقة مؤتمر شعوب أفريقيا الذي عقد في القاهرة آنذاك على تأييد الجزائر في كفاحها ضـد فرنسا، وموافقتهم أيضاً على أن إسرائيل أداة للاستعمار وتحريم استخدام الأسلحة الذرية، وإبعاد إفريقيا عن الحرب الباردة التي كانت مشتعلة بين القوتين الأعظم. ففي أعقاب إعلان عبد الكريم قاسم ضم الكويت إلى العراق أعلن عبد الناصر على الفور استنكاره لهذا القرار وطالب بحل القسضية على هدى من إرادة الشعوب، وليس طبقا لما تنطق به وثائق الإمبراطورية العثمانية، ولما تهور قاسم وأرسل قواته على حدود العراق المواجهة للكويت تحت ستآر القيام بمناورات بالذخيرة الحية اتجهت القوات الكويتية إلى الحــدود الشمالية لمواجهة حشود القــوات العراقية ولم ينه أزمة الكويت إلا البيان الخطير الذي أصدرته الجمهورية المعربية المتحدة والذي طلبت فسيه من الشعب العبراقي ومن كل مسئول يشارك هذه اللحظات من قريب أو بعيد أن يضع في

اعتباره قبل أي قرار أن مصير الأمة العربية يعلو على أي مسجد شخصى وعلى أي مطمع إقليمي وعلى أي معاهدة أو وثيقة قديمة. وعلى أثر البيان دعت الكويت مجلس الأمن للاجتماع للنظر في تهديدات قاسم، وطلبت مصر من ممثلها في الأمم المتحدة وقتذاك أن يطالب بجلاء القوات البريطانية فورا عن الكويت جلاء تاما، ويعلن موافقة مصر على ضم الكويت إلى الأمم المتحدة بعد جلاء القوات البريطانية عنها. ويؤكد ماجاء في البيان الرسمي الذي صدر أن استمرار الحشود البريطانية في الكويت يهدد الأمن العربي كله، وقدمت مصر إلى مجلس الأمن مشروعا اقسترحت فيه حل أزمة الكويت بالوسائل السلمية وانسحاب القوات البريطانية من الكويت فوراً، ولما اعترضت بريطانيا على المشروع العربي أعلنت روسيا رفضها للمشروع البريطاني واستخدمت حقها في الفيتو لوقفه، وكادت هذه الأرمة أن تطيح بجامعة الدول العربية عندما عارضت العراق انضمام الكويت إليها وهدد مندوبها أي مندوب العراق بالانسحاب من الجامعة وفي مؤتمر الدول غير المنحازة الذي عقد في بلجراد دافع عبد الناصر عن الجزائر وعن فلسطين وأعلن أن احتمالات السلام تزداد تعرضا للخطر والعواصف تطفىء شموع الأمل أمامنا واحدة بعد واحدة، وطالب بضرورة اجتماع أقطاب العالم في أسرع وقت لإنهاء تلك العواصف والصراعات، وأكد أن دول عدم الانحياز ينبغي ألا تكون بنشاطها كتلة ثالثة في العالم، وأن تكون المباديء هي الإطار لتحسرك هذه الدول، ولم تكن مصر تعلم أن السقدر يخبىء لها أمراً لايمكن إلا أن يكون نتيجة لنـشاطها السياسي هذا ودفاعـها عن دول العالم الثالث ووقوفهـا في وجه مؤامرات القوتين الأعظم. إذ تآمرت عليها هاتان القوتان وأصابت كبرياءها في الصميم فكان التمرد الخائن في دمـشق ضدها الذي احتل الإذاعـة والقيادة العـامة، وأعلن انفصـال سوريا عن مصر وإنهاء الوحدة بينهما وعرض عبد الناصر تفاصيل المؤامرة على مؤتمر شعبي عام ولم يكن أمامه سوى الارتفاع عن هذه الأرمة والإعداد للمستقبل.

وفى ظل هذه الأحداث الفجائية والدرامانيكية والمأساوية بعث عبد الناصر بخطابه إلى الوزراء الذى يطالبهم فيه بالحد من تصريحاتهم، والذى كان سبباً فى أن قدم عبد اللطيف بغدادى استقالته. والواقع أن عبد الناصر أخطأ فى ذلك. فكان يكفى إرسال هذا الخطاب

إلى الوزير أو الوزيرين اللذين أغرقا في الإدلاء بتصريحات غير منطقية. بل لم يكن عبد الناصر في حاجة إلى مثل هذا الخطاب. فالرقابة على الصحف والإذاعة كانت مفروضة وكانت تمارس سلطاتها بشكل رهيب تمنع كل الأنباء المطلوب منع نشرها، بل كانت كثيراً ما ترسل تعليماتها إلى الصحف بمنع نشر أنباء الوزير الفلاني أو تقليل النشر من أنباء وزير أخر وكانت الصحف تلتزم بهذه التعليمات حرفياً، وكانت الإذاعة لها دور مشهود في هذا الشأن إذ كانت كل أخبارها تعرض على الرقابة تجيز منها ما تجيز وتمنع ما تمنعه. وإذا رأت الرقابة فيما أذيع بعد ذلك ما يمنع أصدرت توجيهاتها بتنفيذ هذا الرأى، وكان كل ذلك بمثابة تنبيه للصحف للالتزام بما تريده الرقابة وكان من يخالف ذلك يتعرض للمساءلة وربما للرفت، وعلى أساس ذلك لم يكن عبد الناصر في حاجة إلى إرسال هذا الخطاب الذي كان بداية الخلاف بينه وبين بغدادي، وبداية للخلاف بينه وبين كل العسكريين وعدد من المدنيين الذين آلمهم هذا الإجراء. . . على أية حال لزم عبد اللطيف بغدادى منزله بعد أن أرسل خطاب استقالته لعبد الناصر ومر يوم أو يومان أو ثلاثة، وفوجئنا نحن الـصحفيين ومندوبي الاذاعة والوكالات أن عبد الناصر قام بزيارة بغدادي في منزله، وعلمنا أن نتيجة هذه الزيارة كانت إنهاء الأزمة بينه وبين بغدادي، وتقصينا الأنباء فعلمنا أن عبد الناصر قام بزيارة بغدادي وأنهى الأزمة عندما نقل إليه أن هناك كملاما يتردد بين أفراد القوات المسلحة على جانب كبير من الأهمية والخطورة منسوب إلى بغدادي يقول: "إني حاكمت ناسا لأنهم لم يقولوا للملك لا وأخشى أن يأتى من يحكامني لأننى لم أقل لعبد السناصر لا"، ولم يفوت عبد الناصر لبغدادي هذا الأمر، ومرت الأيام وإذا بنا نفاجاً بتسريح ضباط الطيران، وبالذات دفعة بغدادى الذين تخرجوا معه وحرنا في تفسير هذا القرار وكنا نتساءل: هل هو لإنهاء نفوذ بغدادي في القوات المسلحة؟ أم أن هذا الإجراء اتخذ على إثر مؤامرة قام بها سلاح الطيران على عبد الناصر واتهم فيها زملاء بغداى في سلاح الطيران؟ لكن لم نصل إلى جواب في هذا الوقت، ولكن الأيام أثبتت فيها بعد أن القرار اتخذ لقطع صلة بغدادى بالقوات المسلحة حتى لايصبح له قوة بين أفرادها تسانده في أزماته مع عبد الناصر ، فقد ناقش مجلس الثورة فيما بعد الشورة في اليمن، ولم يؤيد بغدادي وكسمال الدين

حسين إرسال الجبش المصرى النظامى لتأييد الثورة هناك، وفضلا حرب العصابات تأييداً للثورة، ولم يخل النقاش من مشادة بين عبد الناصر من ناحية وبغدادى وكحال الدين حسين وغيرهم من أعضاء مجلس الثورة من ناحية أخرى، وظل عبد الناصر كاظما غيظه إلى أن اختار الوقت المناسب لقبول استقالة بغدادى وكمال الدين حسين، ولكن بعد أن مهد الأرضية لقبول هذه الاستقالات بحيث ألا تحدث صدى في الرأى العام. وجاء هذا الوقت عندما قرر تعيين نائب أول له يتولى السلطة في حالة وفاته أو عجزه أو عدم قدرته على العمل حسب ما جاء في الدستور، وكانت الأصابع تشير إلى بغدادى على أساس أنه أقدم أعضاء مجلس الثورة في الرتبة العسكرية، وكانت هذه الأقدمية في مثل هذه الحالات ملزمة حتى وفاة عبد الناصر ولكنه. أى عبد الناصر شاء أن يكون عبد الحكيم عامر هو النائب الأول بوصفه المسئول عن القوات المسلحة، وأصدر قرارا بذلك، وكان هذا القرار نهاية لحياة بغدادى السياسية وتخليه عن حمل الأمانة مع عبد الناصر، وظل متمسكا بالتقاليد الأصيلة والعادات الرفيعة والمواثيق الموضوعة لاتباعها في مثل هذه الحالات إلى بالتقاليد الأصيلة والعادات الرفيعة والمواثيق الموضوعة لاتباعها في مثل هذه الحالات إلى حين وفاة عبد الناصر في سبتمبر عام ۱۹۷۰.

#### عبد الناصر وهموم القضية الفلسطينية

كانت القضية الفلسطينية محبور اهتمام ثورة يوليو منذ أن أنطلقت شرارتها الأولي. وكان لأعمضاء مجلس ثورتها رأيان في مسواجهستهما. الأول عدم إثارة غضب إسهرائيل والتفرغ أولا لبناء مصر القوية القادرة على الدفاع عن هذه القضية، ولكن إسراتيل لم تمهل أعضاء مجلس الشورة لتنفيذ هذا الرأى وبدأت بالعدوان، وكان عبد اللطيف البغدادي المتحمس الأول لهذا الرأى. والثاني: مواجهة العالم على الفور بالقضية والسعى للحصول على تأييد تلك الحقوق وإجبار إسرائيل على تنفيذها بالضغط الدولي المكثف عليها، وكان عبسد الناصر المتحمس الأول لهذا الرأي. وأيا كان الأمر بيس أعضاء مجلس الشورة فإن إسرائيل لم تمهلهم لتبادل الرأى حيث كررت اعتداءاتها على الأراضي المصرية التي بلغت وحشية بالغة بسبب قصور السلاح المصرى في مواجهة السلاح الإسرائيلي المتطور، ولكن عبد الناصر رغم هذا التصور لم يكن يترك ثأر مصر فكل عدوان كانت تقوم به إسرائيل كان يرد عليه بعدوان مماثل وربما أشه منه. فقه سألناه مرة وكهانت إسرائيل قسد قامت بعدوان وحشى على الصبحة فضحك وقال سننتقم قريبا. وفي إحضائية إذيعت أن إسرائيل اعتدت على مصر ١١٢ مره خلال ثماني سنوات وكان طبيعيا أن يسد عبد الناصر النقص في سلاح الجيش، خاصة بعد أن حملت الأنباء أن إسرائيل عقدت صفقة سلاح مع فرنسا تعزز بها قواتها المسلحة. فاندفع يبحث عن السلاح، ولما رفض الغرب تزويده به لجأ إلى الشرق وكانت صفقة السلاح التشيكية التي أثارت حفيظة الغرب عليه عام ١٩٥٥ وقرر الغرب منذ هذه اللحظة التخطيط لعزل عبد الناصر أو إبعاده. ولم يترك عبد الناصر غضب الغرب لعقد هذه الصفقة، وإنما كان يفضحه بتصريحات تثير حفيظته أكثر، وتؤكد شخصية مصر المستقلة في المجال الدولي وتفضح أسطورة التوازن توازن القوى في الشرق الأوسط التي كان يتحدث عنهـا الاستعماريون الغربيون، وكان ينذر إسـرائيل بين حين وحين بأنها إذا لم تتوقف عن العدوان فإنه سيعلنها حربا شاملة، ولايمكن لإسرائيل أن تتحكم في قرارنا أو تفرض علينا إرادتها، وكان دائما يضيف مبدأ يؤمن به بعد كل إنذار: «سنسالم ونعادى من يعادينا وسنحصل على السلاح من أى مكان وبأى كمية نشاء ولن يسيطر علينا أحد، وكان الغرب كلما أراد الضغط على عبد الناصر يجر إسرائيل على العدوان عليه فعل ذلك في معركة الاحلاف التي رفض فيها عبد الناصر عقد حلف معهم، وأعلن لا أحلاف تحمى الأمة العربية سوى الأمة العربية فعل ذلك في معركة احتكارالسلاح ومعركة عمول السد العالى ومعركة الحسصار الاقتصادي. وللحقيقة والتاريخ فقد تحمل عبد الناصر في سبيل القضية الفلسطينية الكثير، فقد خاض حربين. هما العدوان الثلاثي عام ٥٠١ و وحرب عام ١٩٥٧ وقاد حرب الاستنزاف انتقاما لهزيمته في ١٧ واستعداداً لرد الكرامة العربية في حرب قادمة، ونحن لانجاوز الحقيقة أو نبالغ لو قلنا إن سياسة عبد الناصر هي التي أدت إلى تآمر الشرق والغرب عليه على السواء وإلا فما معنى أن يزوره السفير السوفيتي ليلة عدوان عام ١٩٦٧ ويطلب كل منهما ألا يكون الباديء بالعدوان. وفي صباح ذات اليوم تقوم إسرائيل بالعدوان وتدمر معظم سلاح الطيران المصرى الذي نفذ أوامر عدم البدء بالعدوان.

والواقع أن عبد الناصر بجانب سباق التسليح الذى فرض عليه بسبب اعتداءات إسراتيل المتكررة سعى أيضا لحل القضية الفلسطينية سياسيا ودوليا. فكان فى كل مؤتمر دولى يحضره يطلب من المجتمعين تأييد الحقوق الفلسطينية المشروعة. وكان لايخلو الأمر من أن يجرى نقاش حاد بينه وبين رئيس دولة تحضر المؤتمر يريد أن يتراخى فى تأييد الحقوق الفلسطينية. فقد حدث أن كان مؤتمر دول عدم الانحيار يعقد اجتماعات فى بلمجراد العاصمة اليوغسلافية عام ١٩٦٢ وفى أوائل شهر سبتمبر بالتحديد، وأعلن أن بيانا مشتركا للمؤتمر لم يتضمن موافقته على القضية الفلسطينية، ولكن عبد الناصر استمر يحاجى المؤتمرين بالحجة من صباح اليوم التالي إلى أن وافق المؤتمر بالإجماع على تأييد الحقوق الفلسطينية. ونحن مندوبي الصحف والإذاعة لم نغادر قاعة اجتماعات المؤتمر طوال هذه الليلة. وكان قد غادرها عدد من الرؤوساء بسبب السفر، وكنا نسألهم فيؤكدون أن المؤتمر في حواد ساخن. إلى أن انفض المؤتمر الساعة السابعة صباحا وخرج عبد الناصر والتضفنا وفي حوله ووجه الحديث لي وطلب منى الحصول على البيان المشترك من مكتب سامى شرف.

الإذاعة البيان. وبينما أنا في كابينة التليفون أملى البيان إذ بي أفاجاً بالمرحوم على أمين يدفع على باب الكابينة في عسمبية شديدة ويطلب منى التوقف عن إرسال البيان إذ إن البيان قد تغير. ولكنه لما قرأ البيان عرف أنه آخر بيان صادر عـن المؤتمر وقال لي: استمر لقد خفت عليك أن تذيع الإذاعة بيانا غير السبيان المطلوب إذاعته، وشكرته وكانت الحادثة بداية علاقة طيبة ربطتني بالمرحوم على أمين، وزادت وتعمقت عندما تزاملنا في رحلات عمل قام بها عبد الناصر فيما بعد إلى اليونان ويوغسلافيا وغيرهما. فقد كان على أمين يشغل في هذه الفترة منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة جريدة الأهرام ولايفوتني هنا واقعــة أخرى ما زالت ماثلة فــى ذهني تماما برغم مرور أكثــر من ثلاثين عاما عليــها. فبينما كنت أتجول في مقر المركـز في بلجراد إذ بشاب يتقــدم لي بأدب جم يقول لي أنت مصرى؟ فقلت له نعم قال لى إنني أحد الفلسطنين المعذبين بسبب اضطهاد إسرائيل لنا فأخذتني الشهامــة ودعوته لتناول قهوة معي، ولكن أحد زملائي من الصــحفيين السوريين الذي كان عيضوا في وقد الجمهورية العربية المتحدة للمؤتمر نبهني بأن هذا الشاب ليس فلسطينيا وإنما هو يهودي. ولكي تتأكد حاول أن ترفع سترة جـاكتته. سترى نجمة إسرائيل وفعـــلا فعلت وشد ما كــانت دهشتي حينمــا علمت أنه يهودي، وأصبــحت في موقف لا أحسد عليه. هل استمر معه وأشرب معه القهوة أم كيف أتصرف؟ وكانت العلاقات متوترة وممنوع علينا الاتصال بهؤلاء الصحفيين اليهود، وفعلا اعتذرت له اعتذاراً رقيقا ولم أشرب معه القهوة. واستكمالا لجهود عبد الناصر لنصرة القضية الفلسطينية فلابد أن نسجل لعبد الناصر بالفخر أنه هو الذي وحد بين الفصائل الفلسطينية المتناحرة. وكان هذا التناحر نقطة ضعف في القضية. فهو الذي أنشأ منظمة التحرير الفلسطينية التي ضمت معظم الفصائل الفلسطينية، وهو الذي سمح لها أن تتخذ من القاهرة مقرأ لنشاطها، وكان هذا نقطة تحول في مسيرة القضية اللفسطينية حتى يومنا هذا.

#### خطط الغرب لاصطياد قواتنا المسلحة

لم تعجب الغرب سياسة عبد الناصر الفلسطينية. بل لم تعجب ثورة يوليو كلها فآلى على نفسه تصفيتها عندما فشلت محاولاته لاحتواثها والسيطرة عليها، ولو على حساب الإمبرارطورية البريطانية التي أخذت تغرب الشمس عنها.

وعندما صمم عبد الناصر على عدم الانحياز للشرق أو الغرب، قرر الغرب الإجهاز عليه وعلى ثورته، ومحاصرته اقتصاديا وأعلن عليه حرب التجويم، ولما فشل في ذلك أعلن عليه الحرب المسلحة، وكان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ الذي شاركت فيه بريطانيا وفرنسها مع إسرائيل بالتواطؤ مع الولايات المتبحدة الأمريكية بعد أن كسر عبد الناصر احتكار السلاح وعقد صفقة السلاح التشيكية في سبتمبر عام ١٩٥٥ ونجح في تغطية تمويل مشروع السد العالى بعد سحب الغرب لعروضه ورسو المزاد على الاتحاد السوفيتي، وبدا أن تصميم الغرب على هدم عـبد الناصر لن يتوقف إلا بعد الوصول إلى هدفه وتحـقيقه. فكان هو صانع جميع النكسات التي أصابت ثورة يوليو، فهو الذي أجهض اشتراكية عبد الناصر حتى لاتثمر ويتبعها سائر زعماء منطقة الشرق الأوسط بهدف أن يركع عبد الناصر على قدميه عقابا له على معاداته للغرب، وكان إغلاق قناة السويس مرتين حتى تحرم الخزينة المصرية من هذا المورد الهام، وكان فضل الوحدة بين مصر وسـوريا حتى لاتظهر عبد الناصر كداعية للوحدة العربية وهذا يرفع من قدره، وكسانت حرب اليمن التي غذاها الغرب حتى تفلس الخبزينة المصرية تحت وطأة نفقاتها الباهظة التي كانت تبلغ مليون جنيه يومياً، فعل الغرب كل هذا تنفيذاً لتخطيط وضع غداة قيام إسرائيل في المنطقة عام ١٩٤٧، أساسه أن تظل إسرائيل أقوى دولة قادرة على ردع أية دولة أخرى في زمن قياسي حـتى لايتألب العالم ضدها، والتخطيط هذا لم يتـغير منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم في عام ١٩٩٠، فكما تألب الغرب على عبد الناصر خوفاً من قوته لصالح إسرائيل يتألب اليوم ضد العراق خوفاً من قوته على صالح إسرائيل، وسيستمر في سياست هذه منحازا لإسرائيل ضد العرب كما انحاز إليها منذ قيامها، فاعتدى على عبد الناصر ليفرض عليه مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس ويفرض عليه الصلح مع إسرائيل، ولكن عبد الناصر رفض واستمرت السفن الإسرائيلية بمنوعة من المرور في قناة السويس، واستمرت إسرائيل كيانا شاذاً في المنطقة كرأس جسر للاستعمار فيها، يبذل الغرب قماري جهده لحمايتها من أي عدوان ويقويها لتصبح قوة إرهاب لم تسول له نفسه الاعتداء عليها.

ومن أجل حماية إسرائيــل شارك الغرب معها في عدواتهــا على مصر عام ١٩٥٦ ولم يكن هدف العدوان احتلال الأرض بقدر ما كان هدف تدمير القوات المسلحة المصرية بأفرادها ومعداتها، واتخذ الغرب خط رجعة له عندما جعل الولايات المتحدة لاتشارك معه في العدوان حتى إذا فـشل تقوم هي بدور المخفف لهذا الفشل مع محاولة جر ثورة يوليو وعبد الناصس إلى حظيرتها والسيطرة عليها. بحيث لاتنمو قوتها العسكرية حتى لاتهدد إسرائيل، ولمنا فشل العدوان الشلائي في تحطيم القوات المسلحة المصرية قسامت الولايات المتحدة باللدور المرسوم وتوددت لمصر الثورة، وكان قسرارها بانسحاب القوات المسعندية من الأراضي المصرية، ولكن هذا التـودد لم يأت ثماره مع عبد الناصر وعـاد الغرب بالتواطؤ مع الولايات المتحدة إلى التخطيط من جديد لاصطياد القوات المسلحة المصرية مرة أخرى وتدميسرها بعد أن أفشل عبـد الناصر هذا المخطط خلال العدوان الشـلاثي، وأعطى أوامره بانسحاب القوات المسلحة قبل محاصرتها منعا لتنفيذ مخطط الغرب المرسوم... وقد اتخذ عبد الناصر هذا القرار عندما دخلت الطائرات البريطانية الثقيلة النفاثة في المعركة بدون علم المشير عبد الحكيم عامر القائد العام لهذا القوات. حتى أنه كان يشجع هذه القوات على الصمود في المعركة في حين تجرى عمليات الانسلحاب منها، واعتبرت مصر ما حدث في معركة بورسعيد نصرا مؤزرا لها، واعتبرته إسرائيل درسا مفيدا لمخططاتها ، وبدأت تعد العدة لمحاصرة مصر \_ عهد الناصر من جديد بعد العدوان، لتمنع نمو قواتها المسلحة. خاصة سلاح الطيران الذي لو كان موجودا في معركة بورسعيــد لما قدر لإسرائيل احتلال الأرض وتنفيذ مخطط تدمير القوات المسلحة المصرية - مع التفكير في كيفية حصار مصر اقتصاديا حتى لاتنمو اشتراكيتها وتثمر، فكان بناؤها لخط أنابيب بين إيلات والبحر الأبيض المتوسط ليكون بديلا لقناة السويس لنقل بترول إيران الذي كان شاهداً على خلاف دائم مع

عبد الناصر، ورأت إسرائيل استثمار هذا الخلاف في حصار عبد الناصر، فوثقت علاقاتها مع إيران وغيرها من الدول الصغيرة كتــركيا وأثويبيا. لا للدخول في حلف مع هذه الدول علنا \_ كما تكشف فيما بعد من وثائق البيت الأبيض التي أشار إليها محمد حسنين هيكل في كتبابه (١٩٦٧ الانفسجار) وإنما في إطار تحسالف غير معلن ليكون سدا أمام طبوفان الناصرية المتحالفة مع الاتحاد السوفيتي. كما كان يمكن استخدامه في وقت من الأوقات للحد من مطامع عبد الناصر وإحباط خططه. بل يمكنه في وقت من الأوقات استخدامه في تصفيته الناصرية عندما تسمح بذلك الظروف، وهذا الحلف في تكوينه لايختلف عن حلف بغداد الذي عارضه عبد الناصر ومنع قيامه، ولكن في هذا الحلف ـ الذي لم يبد أن إسرائيل والغرب لم يتـخليا عنه حـتى يومنا هذا ١٩٩٠ أي بعد ما يـقرب من ٣٤ عــاما تفكيراً ذكيا، فتركيا باشتراكها في الحلف يمكن أن تكون رادعاً لسوريا، وإيران رادعاً للعراق، وإثيوبيا رادعاً لدول القرن الإفريقي المؤيدة للناصرية، ونما يثبت أن هذا الحلف ما زال قائما المساعدات التي قدمتها إسرائيل لإيران في حربها الأخيرة مع العراق، وتواطؤ الولايات المتحدة في هذه المساعدات الذي كادت أن تطيح بحكم ريجان في الولايات المتحدة، ومعارضة إسرائيل الحالية لارديساد النمو المسلح للقوات العراقية وتهديدها لسوريا كلما حصلت على ما يدعم قواتها المسلحة من الطائرات والصواريخ وغيرها، وبما يثبت أن هذا الحلف ما زال قائما ما أثير في الفترة الأخيرة من التعاون الوثيق القائم بين إسرائيل وإثيوبيا بهدف بناء سد على فرع النيل الأزرق النابع من إثيوبيا للتحكم في المياه الواردة لمصر والسودان. وما أشميع عن وجود اتفاقات أخرى عقدت بين إسمرائيل وإثيوبيا تهدف إلى منع تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية وأنها تمد أثيوبيا بالخبراء والسلاح لتحقيق هذا الهدف \_ أي أن الحلف الذي أقسيم لمحاصرة ثورة يوليو بعسودته عام ١٩٥٦ هو نفسه الموجود اليــوم، ولكن لما فشل هذا الحلف في تدمــير عبــد الناصر وثورته عــادت إسرائيل بمعاونة الغرب إلى التخطيط للعدوان على مصر وتدمير قواتها المسلحة منفردة هذه المرة. لعلها تنجح في تدمير عبد الناصر وثورته، ويزول الكابوس الذي يقلقها ليل نهار. أما متى خططت إسرائيل لهذا العدوان وكيف؟ فلذلك قصة أخرى.

#### متى خططت إسرائيل لعدوان ١٩٦٧؟

لم يكن موشى ديان ـ أشهر رجل عسكري عسلى حق عندما قال إن المصريين لايقرأون «مـشيــرا» إلى أن خطة إســرائيل لعدوان عــام ١٩٦٧ قد نشــرت بالكامل والتــفصــيل في الصحف، ذلك لأن المصريين يقرأون ويهتمون بكل ما ينشر عن إسرائيل. لأن ذلك شاغلهم الوحيد ومهمتهم الأساسية والجوهرية، والحقيقة أن رجالنا السياسيين والعسكريين وغيرهم قــد تدارسوا ما نشرته الصحف عن خطة إســرائيل، ولكنهم خافوا أن يكون ذلك فخا لهم نصبته إسرائيل، ولذلك تصرفوا على أن ما نشر ربما يكون الخطة الـفعلية وربما يكون تمويها، ولكن الذي فـات موشى ديان أن ما نشــر في الصحف والذي يشيــر إليه لم يكن تخطيطا إسرائيليا خالصا، وإنما كسان تخطيطا إسرائيلياً ـ بريطانيا تحت رعاية الولايات المتحدة، ولما عرض على فرنسا لم توافق عليه، وإن إسرائيل خططت للعدوان على مصر عقب جلائها عن بورسعيد عام ١٩٥٦، إذ أن إسرائيل لم تنجح في تحقيق هدفها الذي تسعى إليه في كل عدوان تقوم به، وهو تدمير القوات المسلحة المصرية بالكامل. إذ إن تنامى هذه القوات مصدر قلق وإزعاج لها، فهي وحدها القادرة على منعها من احتلال الأرض بالقوة وتنفيل مخططاتها الاستعمارية الاستفزازية الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية، والاستيلاء عليها، وتوطين اليهود المهاجرين إليها بين ربوعها، ولذلك لو دققنا في عدوانات إسرائيل على الأراضي العربية نجد أنها تبدأ محاولة غزو مصر، وأن الفترة الزمنية بين كل عدوان وعدوان هـى سنوات لاتتجاوز الإحدى عشرة سنة في الأعم الأغلب، فحربها الأولى كانت عام ١٩٤٨ والشانية كانت عام ١٩٥٦، والشالثة كانت عام ١٩٦٧ وأخيراً كان نصـر أكتوبر عام ١٩٧٣، والفترة الزمنيـة بين كل عدوان وعدوان هي فترة تطول وتقصر حسبما تكون إسرائيل على استعداد لخوض الحرب ومتأكدة من نصرها فيها، وبعد أن تربط مع سائر القوى في العالم وليس الولايات المتحدة وحدها المتسعهدة بحمايتها والدفاع عنها ضد أي عدوان، وإنما مع سائر القـوى الأخرى لتضمن على الأقل تحييدها وعدم دخولها في هذه الحرب، وقد أكد هذا المبدأ محمد حسنين هيكل وهو يذيع أسرار نكسـة يونيو سنة ١٩٦٧ من واقع الوثائق. حيث إن كل القوى في إسـرائيل وافقت

على الدخول في الحرب عندما تأكد الجسميع من عسكريين وسياسيسين. أن التدخل السوفيتي مستبعد أو عندما حصلوا على تعهد بذلك، وأما الولايات المتحدة فمن واقع مأ نشره محمد حسنين هيكل في كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد أن الولايات المتحدة أعدت لهذا العدوان مع إسرائيل وباركته حتى أن الرئيس الأمريكي جونسون آنذاك أعلن عن سعادته إذا بدأت إسرائيل الخطوة الأولى في هذه الحرب.

على أن ما أريد توضيحه أن التخطيط الإسرائيلي - الإنجليزي للعدوان على مصر كانت تفاصيله موجودة لدى صانعي القرار قبل ما تشير إليه الصحف الذي اتهم موشى ديان بسبيها المصريين بأنهم لم يقرءوها، فقد أرسلت تفاصيل هذه الخطة إلى وزارة الخارجية المصرية مــن سائر العواصم الهــامة في العــالـم. . . لندن . . . واشنطن . . . باريس . . . بيروت وغيرها، وقد كنت شاهد عيان على ذلك ، ففي شهـر يوليو من عام ١٩٦٤ أي قبل العدوان بحوالي ثلاث سنوات أرسلت برقية بالشفرة من بيروت إلى القاهرة تقول إن هناك مخططا إنجليـزيا أمريكيا يعد للمنطقة. وهذا المخطط وضع بـعلم إسرائيل لأنها هي محمور هذا المخطط، وقد عمرضت إنجلترا وأصريكا المخطط المذكور عملي فرنسا ولكمنها رفضته وقامت بإبلاغه إلى السبابا بولس السادس الذى أبلغمه بدوره إلى البطريرك المعوش الذي أيلغه بدوره إلى الحكومة اللبنانية، ويهدف المخطط أولا: تقوم إسرائيل باعتداءات على الحدود بينها وبين البلاد العربية وأن تكون هذه الاعتداءات واسعة النطاق على إحدى الدول العربية .. ولتكن سوريا ـ وتتوغل القوات الإسرائيلية في أراضيها بسرعة حتى تحتلها تماما ثم تبدأ المساومات، وهذه المساومات تكون على النحو التالي : إعطاء جزء من سوريا إلى تركيا وجزء إلى لبنان على أن يتنازل لبنان عن صيدا وصور إلى إسرائيل. ثانيا: تعاون إنجلترا إسمرائيل بالسلاح والعتاد تحت إشمراف الولايات المتحدة من غيمر دخول ظاهر في المخطط من جانب أمريكا. بحيث إذا فبشل المخطط تكون هي حلقة الوصيل بين العرب وإسرائيل لإصلاح الموقف الذي يكون قد أفسده الاعتداء الإسرائيلي ـ العسكري. . وبعد أيام وافت بيروت القاهرة بأهداف أخسري لهذا المخطط. ففضلا عن أنه يهمدف إلى تدمير القوات المسلحة المصرية عن آخرها. فإن النية منعقدة إلى تقسيم المنطقة بحيث يتجمع المسلمون على بعضهم. والاكراد والدروز كل على حدة في دولة مستقلة، وأن يصبح لبنان وطنا مسيحياً ليعطى شرعية لقيام إسرائيل كوطن لليهود، ومن بين المعلومات التي وصلت القاهرة من بيروت أن الحديث قد تجدد عن فسصل جبل لبنان عن الجنوب والشمال، وهما المنطقتان المسلمتان واتخاذ جونية عــاصمة للوطن المسيحي بدلامن بيروت، وقد أعدت لأن تكون ميناء على البحر الأبيض وعـاصمة للوطن المسيحي مجهزة بكل مــا يلزم العاصمة، كما تجدد الشعور عند المسيحيين بأن لبنان وطن قومي مسيحي أولا، ثم وطن عربي ثانيا، وهناك مما يؤكد أن جمميع الأديرة في بميروت قمد اتخذت كمخرن للسلاح استعمداداً للمستقبل. وقــد لوحظ في الفترة الأخيرة أن جميع المتقدمين إلى القـرعة العسكرية يختار منهم أكثر من ٧٠٪ مسيحيين، وذلك كخطوة للتغلب على الحقيقة التي تقول إن معظم الجيش العامل في لبنان مسلمون، وأن هذا يهدد العمل من أجل الوطن القبومي المسيحي المنشود. كما أن هناك كلاما يتردد قد يكون مبالغا فيه، وهو أن فؤاد شهاب يعمل من أجل هذا الوطن. وأن الدليل على ذلك أنه رضخ لطلب المجلس المحلى ولم يحضر مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة وقتذاك، وأن العمل على تجديد فترة ولايتــه إنما القصد منها التمكين لقيام الوطن المسيحي المنشود . . . إننا نكشف كل هذه الأسرار لندلل لموشى ديان أن المصريين لديهم كل المعلومات السرية وغير السرية، والخطط العدوانية والخطط السياسية، وأن قوله أن المصريين لايقرأون لاأساس له من الصحة، ونريد أن نبين لهذه الأسرار أن ما يذاع اليوم عن تقسم المنطقة إلى دويلات لاتقوى على مواجهة إسرائيل مخطط له من سنوات طويلة، ولربما مخطط له ضمن المخطط الإسرائيلي الاستيطاني الذي يقال، وأنه موضوع في السنوات الأولى لهذا القرن، وقد يكون هناك مخطط آخر لم نضع أيدينا على خيوطه. فــالسياسة متــقلبة والآراء متغيــرة والمخططات متقلبة والآراء متــغيرة، والمخططات تتشكل وتتنوع طبقا للظروف والملابسات وطبقا لصالح إسرائيل وليس لصالح العرب. فكل العدوانات على الأمة العربية كانت من أجل تأمين إسرائيل، وليس من أجل تأمين الفلسطينيين المطرودين، وكل علموان من هذه العدوانات وصل إلى حله المؤامرة، ولكن المؤامرة الكبـرى كانت في عدوان عام ١٩٦٧، وهذا ما سنعرض له بالتفصـيل فيما بعد.

### تفاصيل المؤامره الكبرى على مصر وعبد الناصر

في صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ وبالتحديد في الساعة التاسعة صباحا تلقى المستول عن قسم الأخبار في الإذاعة مكاملة تليفوئية مقتضبه جدا تطلب منه صياغة نبأ يذاع عن عدوان إسرائيلي فورا، ولم يمله المسئول الخبر، وكنت قد وصلت مكتبي بالإذاعة في تلك اللحظة، واتصل بي المستول تليفونيسا وهو في قمة الانزعاج والارتباك عندما قلت له. . . اترك لى هذا الأمر وما عليك إلا أن تجمع ما جاء على وكالات الأنباء من أنباء عن هذا العدوان. إضافة إلى الحصول على ما أذاعته إسرائيل من قسم الاستماع السياسي واترك لي ما بقي من أمر، وبحكم خبرتي الطويلة في مثل هذه الأزمات، اتصلت على الفور بالمستول عن التنسيق وطلبت منه ضم الموجمات وإذاعة مارشات عسكرية لأننا سنذيع خبرا عن عدوان إسرائيلي على مصر. وانزعج هو الآخر فقلت له: لعلك منزعج لأن مثل هذه الطلبات لايمكن أن تقوم بتنف يذها إلا إذا صدرت إليك من وزير الإعلام أو مدير الإذاعة بأشخاصهم، ولكننا في موقف استثنائي، وإذا شئت الحصول إقرار مني بذلك فأنا على استعداد . . . وأجابني بأنه سينفذ على الفور وإذا تعرض لأية مسئولية سيقر بأنني المستول الأول، وافقت عملي طلبه وتم ضم الموجمات وأذيعت المارشات العمسكرية، ولما انتهيت من هذا الأمر تفرغت مع الزملاء لصياغة الخبر، وصغنا نبأ معتصرا جدا ليس به تفاصيل العدوان. وكانت في حورتنا. ولكن فضلنا أن نعلن أولا عن العدوان إلى أن تصل إلينا التفاصيل من وجهة نظرنا نحن، فالتفاصيل التي كانت في حوزتنا كان مصدرها إذاعة إسرائيل ووكالات الأنباء الغربية، وأخذت الإذاعة تكرر هذا النبئ لمدة نصف ساعة على فسرات تتخللها المارشات العسكرية إلى أن جاءتنا تمفاصيل العدوان بمصفة رسمية واستـقام الأمر، من هذه الـصورة أدركت أن هناك ربكة في دوائر القيـادة العامــة للقوات المسلحة ووزير الإعلام ووزارة الخارجية بمقارنتها بالصورة الأولى لعدوان عام ١٩٥٦ وكنت أيضاً في موقع المستولية الإعلامية، وبإذاعة هذه التفاصيل التي تقول بأننا أسقطنا للعدو عدة طائرات في زهو وكبرياء ولم تكن هناك طائرات للعدو وإنما هي تنكات بنزين إضافية كانت الطائرات الإسرائيلية تتخلص منها عند فرارها تخفيفا لحمولتها، وبهدف إعطائها

حرية الحركة كاملة، ولم نذع بالطبع تدمير سلاح طيراننا بالكامل وأن قواتنا المسلحة تواجه العدو وهي مكشوفة بغير غطاء يحميها من غارات الطائرات الإسرائيلية، ولم نذع في اليـوم الأول أن المعركــة انتهــت بعد ست ســاعات من بدايــتهــا، وأن قواتنا أخــذت في الانسحاب دون ترتيب أو تخطيط، ولم يبق سوى جيوش باسلة حاربت معركة شرسة مع العدو المتفوق في سلاح الطيران وسلاح المشاه والمدفعية، وكانت في الشوارع فرحة عارمة بانتصارنا، وفي حقيقة الأمر كانت هناك هزيمة فادحة طبقا لما تناقلته وكالات الأنباء ولم نستطع إذاعة شيء منها. حيث كنا ملتزمين بإذاعة ما يملي علينا، وكان كله مخالفا للحقيقة المرة المؤلمة، وبالطبع كان شغلنا الشاغل كإعلاميين - كيف سنطلع الشعب على الحقيقة عندما تنكشف الأمور جلية واضحة بحيث لايمكن إخفاؤها بعد أن أخذت الإذاعات الأخرى تذيعها ويستمع الشعب إليها، على أية حال لم يكن هناك بد من إطلاع الشعب عليها جرعة جرعة حتى لايصدم، ويرتكب حماقات كرد فعل للهزيمة تزيد من حرج الموقف وسموته وتحمل القيادة السياسية والقيادة العسكرية ما لم تستطع تحمله، سيئــاً فت في عضدنا وشل حركتــنا ، وجاء الليل بظلامه الدامس فالأنوار كلهــا مطفأة ما عدا بصيص من نور أزرق رتبه الدفاع المدنى لحماية المدينة من العدوان والتدمير، واكتملت الصوره السيئة بالنسبة لي حيث لم يكن مسموحا لأحد أن يتحرك في هذه الليلة المشتومة إلا الحاصل على تصريح يسمح له بالتجول، وكنت وكل زملائي نحمل هذا التصاريح، وغادرنا مبنى الإذاعة والتلفزيون في حوالي الساعة الشانية صباحا ، المواصلات كلها مقطوعة وكان هناك زملاء لايملكون سيارة توضلهم إلى منازلهم، وأمام المبنى وقفنا نرتب هذا الوصول وننظمه بحيث تستوعب سيارات البعض القليل سائر الزملاء ، وقسمناها إلى خطوط تحمل السيارة كل من هـ و على الخط الذي ستسير عليه، وكان نصــيبي خط الجيزة وإمبابة وأنا أشق طريقي إلى إمبابة وعند الكوبري أصر مسئول الدفاع المدنى أن نطفيء نور السيارة تماماً وعبشا حاولت معه أن أتسرك النور مضيشاً فكنت قد طليت كشافاتي باللون الأزرق المطلوب ولكنه لم ينف ل رغبتي، وأطفأت الأنوار محبرا، وأنا أجتــاز الكوبرى

اصطدمت السيارة بعمود النور وتهشمت تماما وأصبنا جميعا برضوض وكسور. بعضها كان حادا منع أصحابها من الحركة والبعض الآخر كان خفيفا يساعد على الحركة وتعاونا جميعا لمواجهة الموقف السيء وتركنا العربة لأنها لم تستطع الحركة وأكملنا طريقنا مشيا على الأقدام ومنا من وصل منزله مع خيوط نور الصباح. وكانت تلك ضريبة دفعناها من صحتنا وراحتنا لتكتمل الصورة المأساوية التي عشناها في هذا اليوم المشئوم.

لم أنم سوى ساعتين فكان على أن أعود لعملى الإخبارى في الإذاعة في الصباح الباكر في اليوم التالي ليوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وأنا في طريقي كنت أشهد الوجوم واليأس على وجوه القادمين والرائحين من شعبنا العريق صاحب الحضارة العريقة التي تمتد فسي عمر الزمن اكــــثر من ســبعـــة آلاف سنة. فالكل أدرك حــجم الهزيمـــة، وتفكيره منصب كــيف سنمسح هذه الهزيمة من سجل تاريخنا الحافل، ،أنا بدورى استرجعت كل المؤامرات التي حيكت ضدنا والتي استهدفت في المقام الأول استنزاف طاقاتنا وتطويع إرادتنا لتقبل كل ما هو مخطط لنا. ، وقد عاصرت معظم المؤامرات السياسية والعسكرية علينا، وكنت في ثلاث منها في موقع المسئولية. وبالمقارنة أدركت أن عدوان ٥ يونيو هو مؤامرة كبرى علينا خطط لها أعداؤنا من زمن طويل. كانت البداية في الأربعيسنيات. حيث كانت معسركة فلسطين في عام ١٩٤٨ والتي استطاعت إسرائيل تحقيق أطماعهما في خلق دولة لها هي جســر للعدوان علينا. وبكل المقــاييس والموازين هي بداية لمؤامرات أخــري، نجبح بعضـــها وفشل البعض الآخـر والبقية تأتى، فقد انتـصر في معركة فلسطين وانتصــر في يونيو عام ١٩٦٧ وارتد عدوانه علينا في الخمسينيات في معركة السويس وفي السبعينيات في حرب أكتسوبر عام ١٩٧٣، ولم يتوقف العسدوان علينا إلا بعد أن حقق جسميع أهدافه العسدوانية الاستفزازية الاستيطانية وما زال في جعبته الكثير، ولكننا سنقف له بالمرصاد ندمر أهدافه ونصد عدوانه إلى أن يعترف بحقوقنا كاملة. ولكن قبل أن ندخل في تفاصيل هزيمتنا في يونيو عام ١٩٦٧ وأسبابها وتحديد المسئوليات فيها لابد أن نعترف بأننا لم نستفد من دروس معركة السويس، ولو استفدنا منها ما كانت هزيمة يونيو، ولما استفندا من دروس الهزيمة انتصرنا في أكتوبر عام ١٩٧٣، ودووس معركة السويس التي لم نستفد,منها كانت: لكي

نقهر عدونا لابد لنا من سلاح طيران قوى يحمى قواتنا المسلحة وهي تنهب الصحراء لتلاقيم، ولابد لنا من سلاح مدفعية قوى يعاون سلاح الطيران في مهمتم، ولكننا بعد هزيمة يونيو لم نعد سلاخ الطيران ولا سلاح المدفعية حتى الكمية القليلة من طيراننا التي كان في إمكانها أن تحدث توازنا في معركة يونيو دمرها العدو قبل بداية المعركة وهي رابضة في مطاراتها. فانكشفت قواتنا المسلحة وكانت الهزيمة المنكرة. وزاد الطين بله أن أصدقاءنا تخلوا عنا في وقت الأزمة، فكانت سماؤنا مفتوحة للطيران الإسرائيلي الذي قام بقوة من الطيران قدوامها ١٧٤ طائرة بغارة قتمالية على كل مطاراتنا في أبو صوير والأقصم وغيرها دمرت معظم سلاح طيراننا. وقامت موجة أخبري من الطائرات الإسرائيلية قوامها حوالي ١٦٠ طائرة لتحطم ما تبقى من سلاح الطيران المصرى سليما، وما أذيع من وثائق العدوان حتى تاريخنا هذا يؤكد أن مؤامرة كبرى علينا وقعت. ليس من إسرائيل وحدها، وإنما من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، ويؤكد ذلك الوثيقة التي أذاعها محمد حسنين هيكل في كتبابه الانفجار ١٩٦٧ وذلك من رسالة المارشال جوزيب برور تيتبو إلى زعماء الدول والاحزاب الشيوعية الذين كانوا في اجتماع في بودابست لبحث شئون الشرق الأوسط، والذى تعرض فيه بريجنيف وكوسيجين وبودجورني زعماء الاتحاد السوفيتي وقتذاك لحملة شديدة من معظم الزعماء الشيـوعيين الآخرين. تـتهمهم بالاسـتسلام للأمريكان وتنتـقد مسلك كوسيجين في اجتماع جلاسبورو مع جونسون، وأنه هناك لعب به جونسون بطريقةً تؤدى إلى انكشاف موقف المعسكر الشرقي بأكمله، ويقيني أن هناك السعديد من الوثائق الأخرى لم يزح الستار عنها بعد تؤكد خيوط المؤامرة الكبرى على مصر وعبد الناصر التي شارك فيها العمالم كله بغربه وشرقه في وقت كان المعسكر الشيوعي يؤكد صداقته لملعرب ضد المعسكر الغربي.

#### وتحالف الشرق مع الغرب للخلاص من عبد الناصر

لم تظهر وثيقة حتى الآن تؤكد تحالف الشرق مع الغرب بهدف التخلص من جمال عبد الناصر نهائيا في عدوان ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ الذي انتهى بهـزيمة شنعاء لـه تخلف عنها احتلال حوالـي ثلث الأراضى المصرية والعربية في سوريا والأردن. بالإضافة إلى احتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية بالكامل ـ بسيطرتها على الضفة الغربية وقطاع غزة ـ في حين أن عبد الناصر استطاع أن يصد عدوانا بريطانيا فرنسيا إسـرائيليا في حرب عام ١٩٥٦ لم يتخلف عنه احتلال شبر واحد من الأرض العربية في مصـر وسوريا والأردن والأراضى الفلسطينية، وحطم هدفهم الرئيسي من ععدوانهم، وهو تحطيم القوات المسلحة المصرية في الصحراء بقراره الذي أصدره على الفور عندما تأكد له أن بريطانيا وفرنسا دخلتا الحرب مع إسرائيل الذي يقضى بانسحاب القوات المصرية.

ولكن في عدوان ١٩٦٧ لم تترك له إسرائل الفرصة لاتخاذ هذا القرار مرة ثانية حيث كان التخطيط إنهاء الحرب في ست ساعات حتى لاتتاح الفرصة لعبد الناصر لاتخاذ مثل هذا القرار. وقد كان. ولو لم يحدث ذلك كان التخطيط مرسوما على أساس تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا مع إسرائيل لإنهاء المعركة بسرعة، وربحاكان هناك اتفاق مع الاتحاد السوفيتي على أن يتلكأ في تنفيذ طلبات مصر والدول العربية الانحرى الحليفة له إلى أن تنتهى المعركة. وما أذيع من وثائق حتى الآن يؤكد أن هذا التواطؤ أو قل التحالف بين الشرق والغرب على التخلص نهائياً من عبد الناصر، ويؤكذ ذلك ما أذيع من رسالة جوزيف برود تيتو إلى زعماء الدول والاحزاب الشيوعية في اجتماعهم المذى عقد في بودابست لبحث شئون الشرق الأوسط والتي أشرنا لها من قبل. كما يتأكد هذا التحالف من خدعة الشرق والغرب لعبد الناصر عندما أيقظه السفير الأمريكي في القاهرة، ومن بعدة السفير السوفيتي في فجر ليلة العدوان يطلبان منه عدم البدء في العدوان، واستيقظ عبد الناصر على عدوان إسرائيل وتحطيم سلاحه الجوى عن آخره وهو أمر حسم المعركة عماماً، وما أذيع من وثائق تشبت تباطؤ الاتحاد السوفيتي عن إرسال شحنات الأسلحة

والذخمائر المطلوبة بسرعمة لمصر. بحمجة أن الحمكومة اليموغسملافيمة لم تعطه إذنا بمرور الطائرات التي تحمل هذه الأسلحة والذخائر عبر أجوانها في طريقها إلى منصر وحتى لما اتصل عبد الناصر بصديقة تيتو وحصل منه على الإذن المطلوب أرسل الاتحاد السوفيتي إلى عبد الناصر رسالة تخبره أن هذه الأسلحة ستصل إليه في الفترة من ٩ يونيو إلى إلى آخر أغسطس، وكان تعليق عبد الناصر على هذه الرسالة أن الجدول الزمني الخاص لايأخذ في اعتسباره سرعة الأحداث، وأنه يشك أن الأزمة تستطيع أن تنتظر إلى هذا الحد، ولو أنها انتظرت لكان تقديره أنه قد أمكن تفاديها واحتواءها بالوسائل السياسية، وأضاف أنه فهم من كل ماأثاره الاتحاد السوفيتي حول امتناع اليوغسلاف عن إعطاء الأذن بعبور الطائرات السوفيتية في الأجواء اليوغسلافية أن المسألة لن تستخرق ساعات. أما إذا كان حسابها بالأسابيع فإن استعمال الطائرات يصبح إسرافا لامعنى له، والأسهل منه استخدام البواخر، وقد كشف الرئيس الجزائري هواري بومودين موقف الروس تماماً وتواطؤهم مع الغرب ضد مصر عندما زار موسكو فور انتهاء العمليات العسكرية في عدوان ١٩٦٧ بناء على اقترح من الرئيس جمال عبد الناصر ، لاستطلاع نوايا السوفيت في المرَحلة القادمة عندما وجه سؤالاً إلى القادة السوفيت يقول : إنه يريد \_ أي الرئيس هواري بومدين \_ أن يعرف ما هي حدود الموفياق بينهم وبين الأمريكيين؟ واستطرد يقول: إننا نراه وفاقا من جيانب واحد. فأنتم \_ أي القادة السوفيت تتصرفون بأقصى درجات الضعف، والآخرون ـ أي الأمريكان ـ يتصرفون بأقصى درجات القوة، وهنا قاطعه ـ كما يقول حسنين هيكل ـ كوسجين قائلا أن الاتحاد السوفيتي لايتصرف بضعف. . ورد بومدين قائلاً . . بل إنكم تتصرفون بمتهى الضعف اذا كنتم تستصورون أنني جستت إلى هنا لكي أجاملكم فسإنني لن أفعل ذلك... ولقد جئت لأحدثكم بالحسقيقة والحقيقة أننا لسنا وحدنا الذين هزمنا وإنما انتم هزمتم في نفس الوقت معنا \_ بل قـبلنا \_ وإذ كنتم لاترون أن ميزان القـوى العالمية قد تحـول لصالح الناحية الأخرى فهذه مصيبة، وإن كنتم ترون ذلك ولاتفعلون شيئاً فهذه مصيبة أكبر، وأنتم أكثر من غيركم تعلمون مدى الدور الذي قام به الأمريكيون مع إسرائيل وما كانت لتقدم عليه وحدها لولا هذا الدور، وتعرفون أيضا أكثر من غيـركم ما الذي يعنيه ضرب

القوى التحرريه العربية في التوازن الدولى القادم. كما أنكم تعرفون أن جزءا كسبيرا مما تحملناه كان مقصودا به وجودكم ونفوذكم المعنوى في المنطقة وقد تركتم ما حدث يحدث رغم أنكم أول ما حذر منه دون أن يصدر عنكم أى رد فعل إلا بالبيانات والمقالات.

على أن هناك موقف آخر شاهدته بنفسى يؤكد أنه كان هناك اتفاق ما بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بشأن منطقة الشرق الأوسط. فقد قام عبد الناصر بزيارة للاتحاد السوفيتي بعد أن أكمل جانبا كبيرا من حرب الاستنزاف التي شنها ضد إسرائيل وأصابتها بأضرار كبيرة. وكان من نصيبي أن أرافقه في هذه الزيارة بحكم عملي مندوبا للإذاعة في رئاسة الجمهورية. وقبيل يومها إن عبد الناصر ذاهب إلى الاتحاد السوفيتي للحصول على اسلحة هجومية وليست أسلحة دفاعية ـ كما كان متبعا في كل زياراته للاتحاد السوفيتي السابقة \_ وأنا أستمعد للسفر كان هناك من قرأ لي الفنجان والذي لايعرف طبيعة عملي فإذا به يقول أن الفنجان يقرر حقيقة وهي أنك ستسافر مع شخصية كبيرة إلى الخارج وأن هذه الشخصية ستعود من مهذه الرحلة غاضبة هاثجة لانها لم تحقق ما سافرت من أجله وأما أنت فستعود مسرورا فرحا على نطاقك الشخصى واندهشت من قول الرجل أوقول الفنجان ولكنه أراد أن يقنعني بما يقول فأشار في الفنجان إلى صورة الشخصية الكبيرة وصررتى وفعلا كانت صورته مكتئبة وصورتى فرحة وتركت الرجل وأنا غير مصدق وسافرت مع عبد الناصر وهناك في موسكو كنا نشعر بما تمر به المحادثات من اتفاق أو خلاف. فكانـت إذا مرت باتفاق كـان الروس يغالون في تكــريمنا، وكان ترومــتر هذا الكرم تقديم الكافيار لنا وتلبية كل طلباتنا. فكانوا إذا قدموا لنا الكافيار فهمنا أن المحادثات ناجحة، وإذا لم يقدموه لنا فهمنا أن المحادثات فاشلة. وقد حدث في اليــومين الأخيرين من زيارتنا أنهم لم يقدموا لنا الكافيار، ولم يلبوا طلباتنا، وكانت معاملاتهم لنا سيئة فأدركنا أن عبمد الناصر فشل في إقناع القادة السوفيت بمده بالأسلحة الهجومية، واكتفوا بمده بكل ما يريد من الأسلحة الدفاعية فقط. وهذا أمر آخر يؤكد تواطؤ السوفيت مع الأمريكان على التخلص من الناصر، وأما على المستوى الشخصي الذي أشار إليه قاريء . الفنجان فقد كنا سعداء حقا حيث كنا نستبدل الدولار بثماني روبلات وأحيانا عشرة وهو ما لم يحدث من قبل في زياراتنا المتعددة مع عبد الناصر للاتحاد السوفيتي.

وكان هذا سر سعادتنا فقد حصلنا في هذه الزيارة على كل ما كنا نريد الحصول عليه من حاجيات، وعدنا محبورين الخاطر. أما عبد الناصر فقد عاد كئيباً حزينا حيث رفض الاتحادالسوفيتي الموافقة له على كل طلباته، وفي تصورى أن هذا الموقف من الاتحاد السوفيتي وغيره من المواقف التي أشرت إليها جعل عبد الناصر يعيد حساباته مع حليفه الأكبر. فبعد أن سلمه سلاح طيرانه وفتح له ذراعيه على أمل أن يعاونه في مسح الهزيمة المنكرة التي نالها على يد إسرائيل وحلفائها، ولكنه أدرك أخيراً أن المؤامرة أكبر منه ومن تفكيره، ولكنه لم يستسلم كعادته ورد الصاع صاعين للروس يوم أن أعلن في الكرملين وعلى طاولة المفاوضات وفي مواجهة كل الزعماء السوفييت المجتمعين معه قبوله لمبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة لإقرار السلام في الشرق الأوسط حسب وجهة النظر الأمريكية، وبات واضحا من إقدامه على هذه الخطوة أنه يئس من موقف الاتحاد السوفيتي غير الإيجابي بسبب عدم تعديه الخط الأحمر المتدفق عليه مع الولايات المتحدة، وهو أمر فسره المراقبون وقتلاك بأن عبد الناصر أخد يميل إلى الخرب ويخرج من مظلة الروس، وهو الذي ظل محافظا على مبدأ عدم الانحياز إلى أي من الكتلتين إلى أن أدرك أن اللعبة الدولية لها قواعد واتفاقات لايمكن الخروج عنها.

#### عندما تنحى عبد الناصر عن حمل المستولية

فى الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة ٩ يونيو عام ١٩٦٧ فوجئنا نحن مندوبى الإذاعة والتلفزيون والصحف كأى فرد من الشعب بأن جمال عبد الناصر أعلن فى خطاب إذاعه بالتلفزيون عن تنحيه عن المسئولية، وتعيين زكريا محيى الدين رئيساً للجمهورية. وكنا قد قبعنا فى بيوتنا آملين أن ننال قسطا من الراحة من عناء عمل متواصل مضن منذ ٥ يونيو يوم العدوان المشئوم، ولكن هكذا حياة الباحثين عن الأنباء يأملون فى الراحة، ولكن غالبا ألا يتحقق أملهم، ويستعدون ليوم حافل بالأحداث، ولكن لم تتحقق ظنونهم ويمر اليوم رتيبا هادئاً.

وكان يـوم الجمعة ٩ يونيـو من الأيام الذى كنا نعتـقد أنه يوم هـادئ، وأن الأحداث ستتركـز فى بيت القيادة فى منشية البكرى. حيث يقـيم صانع هذه الأحداث فى مثل هذه الفترات الدقـيقة من حياة الأمم والتـزاما لتعليماته إلـينا ـ أى تعليمات القائد جمـال عبد الناصر . . . أنه وحـده الذى سيـقوم بالإعلان عـن هذه الأحداث وأن مسـئوليـتنا فقط ـ كمندوبين فى رياسة الجمـهورية ـ تتحدد فى تغطية نشاط رئيس الجـمهورية خارج منزله، بسبب هذا أمـضينا يوم الجمعة فى منازلنا، وكانت المفـاجأة لنا التى جعلتـنا نتخطى تلك التعلميات، ونتـوجه على الفور إلـى منشية البكرى، ولكـننا لم نستطع بسبب الطوفان البشرى هرع إلى الشوارع يطالب القائد بالعودة. والحق والحقيقة كان يوما مشهودا واستفتاء شعبيا رائعـا لاترتيب فيه على حب الشعب لعبد الناصر ـ رغم الهزيمـة لقيادته العسكرية والسياسية والدبلوماسية والإعلامـية ـ ولكن هذه الصورة الرائعة بين الشعب وقائده شوهها والسياسية والدبلوماسية والإعلامـية ـ ولكن هذه الصورة الرائعة بين الشعب وقائده شوهها تخفف من هذا المظهر الرائع. . . تلك الهمسات كانت تقول بصوت خفيض علها بلعبـته، هل صدقتم فـعلا أنه سيـتخلى عن الحكم لغيـره؟ هل عرفتم حاكـما تخلى عن بلعبـته، هل صدقتم فـعلا أنه سيـتخلى عن الحكم لغيـره؟ هل عرفتم حاكـما تخلى عن كرسى الحكم بإرادته؟ إن عبد الناصر أراد بهذه اللعبة أن يمتص غضب الشعب عليه حتى لايحاكمه على إهماله وإهمال قادته، وبينما نحـن نستمع لهذه الهمسات التى لم يكن لها لايحاكمه على إهماله وإهمال قادته، وبينما نحـن نستمع لهذه الهدمات التى لم يكن لها

أى صدى أمام تلك الجماهير الزاحفة لعبد الناصر تطلب منه البقاء ليقود السفينة قبل أن تغرق نهائيا ويضيع شعب وأمة، فإذا بأنباء لم تتأكد صحتها تقول بأن بعض مكاتب الاتحاد الاشتراكى في السقاهرة والأقاليم قد نزعت صبورة عبد الناصر ووضعت ببدلا منها صورة على صبـرى وأن تعيين زكريا مـحيى الدين جاء على غيـر رغبة قادة الانحـاد الاشتراكي، ونحن نستمع لهذا وذاك تخيلنا أن القاهرة ستحرق مرة أخرى كما حرقت في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ولكن أزحنا هذا الخيال على الفور واستبعدناه. لأن من حرق القاهرة في يناير لم يكن الشعب وإنما كان المحتل والسراي، والصورة تختلف اليوم. فلامحتل ولاسراي يمكن أن يدفع تلك الأمواج البشرية المتسلاطمة إلى حرق القاهرة. لأنها أمواج من البشسر حركها حرصها على بلدهم ومستقبلها، وأيقنا أن عبد الناصر لايمكن أن يرد هذا الشعب المنطلق كالبركان الهائج دون أن يحقق مطالبه. وإلا اختسل الأمن وعمت الفوضى وتداعت الأحداث إلى أسوأ من الهـزيمة، وتمكن أعداؤنا من تحقيـق أهداف أكبر من الأهداف التي تحققت بسبب الهزيمة . . . وبقينا ليلة طويلة لانعرف كيف ستطلع علينا شمس اليوم التالي . . ومنذ أن قامت الشورة ونحن موعبودون بمثل هذه الليالي الطويلة، ولكن القلبيل منها كانت ليالي تحمل معها الأمل المشرق في مستقبل مزهر لمصر، وأغلبها كانت تحمل معها اليأس والمستقبل المظلم والقلق على مصير مصر الحبيبة ، فقد بتنا ليالي طويلة في مجلس الثورة بالجزيرة كلها أحسلام وردية وأمال عريضة في مجتمع كله رجاء ورفاهية على ضوء قرارات أصدرها هذا المجلس كنا نحلم بصدورها. لأنها كانت قرارات في صالح الطبقات الكادحة من شعبنا التي عاشت تحت جشع المستغلين من الإقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال ونهب المستعمرين وظلم الملك وحاشيته المنغمسيان في الملذات على حساب هذا الشعب المسكين، وفي المقابل عشنا ليالي طويلة في خضم الصراع المميت الدي احتدم بين أفكار رجال الشورة المتطورة وأفكار الإقطاعيمين وأصحاب زؤوس الأموال المتحجرة التى كانت تبحث فقط عن تكوين المال دون إعطاء الشعب حقوقه المشروعة من الحياة الكريمة. وكان صراع حياة أو موت. فإما أن تبقى الثورة ويلهب هؤلاء المستغلون، أو تفشل الثورة وينتصر هؤلاء المستغلون ليزدادوا اضطهاداً لشعبنا. وعشنا ليالي طويلة نرقب صراعا من

نوع آخر. صراعاً بين أعضاء مجلس قيادة الثورة أنفسهم، عشنا أرمة محمد نجيب مع عبد الناصر ومع مجلس الثورة. وهي أرمة كاد أن ينتصر فيها محمد نجيب ويذهب عبد الناصر وثورته. عشنا أزمة استقالة جمال سالم ومن بعده أزمة صلاح سالم وبغدادي وعبد الحكيم عامر وغيرهم عن استقالوا أو أقيلوا قبلهم وبعدهم وكانت كلها أزمات عصبية. بالإضافة إلى أزمة الثورة والإخوان المسلمين وأزمة الثورة مع العالم الخارجي وقصة الأحلاف وتجويل السد العالى والحصار الاقتصادي وتأميم قناة السويس. وأخيراً العدوان الثلاثي الذي شاركت فيه مع إسرائيل بريطانيا وفرنسا، وسعدنا بأن هذا العدوان فشل أمام تصميم الشعب على الوقوف خلف قيادته. وها هو اليوم يقف خلف هذه القيادة رغم هزيمتها وفشلها، وهذا هو صدق الشعب المصرى العريق لايتخلى عن قيادته في أوقات المحن، ولكنه في نفس الوقت نفسه يحاسبها حسابا عسيراً على أخطائها حتى تصوبها أو تتخلى عن الحكم.

لعلنى استطرت وتركت نفسى لمشاعرى وأحاسيسى وبعدت بذلك عن لب الموضوع فلنعد إليه، ولما فشلنا فى الوصول إلى مصدر الأنباء فى منشية البكرى. حيث لم نستطع اختراق تلك الكتل المترامية من الشعب فى شوارع القاهرة المؤدية إلى مكان عبد الناصر توجه كل منا إلى جريدته لنتابع الأنباء من هناك، وتوجهت أنا إلى الإذاعة وهناك أطلعت على ما تناقلته وكالات الأنباء عن الحدث الكبير، وسمعت تفاصيل ما حدث فى هذا اليوم من تاريخ مصر الفاصل ومن تاريخ الشعب المصرى المضىء، وأما فيما يختص بوكالات الأنباء فقد عرقت منها أن جميع قيادات العالم أو معظمها اتصل بعبد الناصر أو بعث له برقية يطالبه فيها بالعدول عن قراره - فيما عدا الولايات المتحدة الأمريكية وبعض قادة اللدول الغربية - باستثناء الجنرال ديجول الذى أصدر بيانا فى فرنسا تمنى فيه أن يتمكن عبد الناصر بشجاعته ووطنيته من الاستجابة لمشاعر أمته التي تطالبه بالبقاء فى موقعه، وأن الناصر والهزيمة عوارض عابرة مرة فى تاريخ الأمم. أما القادة السوفيت فكانوا أول من أبرقوا إلى عبد الناصر - برقية سأوردها بنصا لأنها تحمل معانى كثيرة - فقد كان عبد الناصر عاتبا على الاتحاد السوفيتي وموقعه من الارمة، وكان مستعداً لو أن الاتحاد الناصر عاتبا على الاتحاد السوفيتي وموقعه من الارمة، وكان مستعداً لو أن الاتحاد الناصر عاتبا على الاتحاد السوفيتي وموقعه من الارمة، وكان مستعداً لو أن الاتحاد

السوفيتى تصرف بحزم وحسم، ولما كانت الأصور قد وصلت إلى هذا الذى نحن فيه اليوم، وربحا كان هذا الموقف السوفيتى هو العامل الرئيسى لاتخاذ عبد الناصر قرار التنحى. لأنه بثاقب فكره أدرك أن المستقبل بعد المعركة والهزيمة يتطلب الاتصال بالولايات المتحدة «وقلبه مملوء بالمرارة من الأصريكان» وقد لايستطيع القيام أو لايقدر القيام بهذا الاتصال، وأما مساومة القادة السوفييت بالاتصال بعبد الناصر في هذه الأزمة. فإن عبد الناصر يرحب به لإن إعادة القوات المسلحة إلى قوتها بعد الهزيمة لابد وأن يكون عن طريق التعاون الكامل مع الاتحاد السوفيتى لهذه الاعتبارات وغيرها، ونسجل هنا نص رسالة السوفيت التي بعث بها إلى القيادة المصرية السفير المصرى هناك وهذا نصها:

#### الصديق العزيز ناصر:

انتم تتمعون بسمعة ضخمة فى العالم العربى وإن الشعوب العربية كلها تثق فيكم وأصدقاؤكم يحترمون نضالكم ويحترمون شخصكم. إنكم باستمراركم فى منصبكم رئيساً تستطيعون العمل، ويجب أن تعملوا كل الممكن من أجل المحافظة على دولتكم وشعبكم . إن العالم العربى والقوى التقدمية فى العالم العربى سوف لايفهمون ولايوافقون على تنحيتكم عن قيادة السبلاد فى هذه اللحظة العصيبة والمسئولة. ونحن مستعدون لبحث كل الخطوات المشتركة لحل جميع المشاكل الاقتصادية والعسكرية فى أى وقت ترونه. مع احترمنا العميق.

#### إمضاء: بريجنيف كوسيجن بادجورني

ورسالة السوفيت بتعبيراتها هذه لاشك أنها تفتح طاقة نور أمام عبد الناصر وسط الظلام الدامس المحيط به، وتجدد أمل خروجه من الأزمة واستثناف عمله من جديد لإزالة آثارها الخطيرة على مستقبله السياسي ومستقبل مصر.

أما عن العالم العربى فقد حملت وكالات الأنباء أنباء المظاهرات الصاخبة التى تظالب عبد الناصر بالعودة والرجوع عن قرار تنحيه، وانهالت البرقيات على رياسة الجمهورية من أنحاء المعالم العربى بطريقة تؤكد أن الشعوب العربية كانت فى نفس موقف الشعب

المصرى تطالب الزعيم بالعودة إلى قيادة ثورته التى تمثل أمل تلك الشعوب فى تخطى كافة قضاياها ومشاكلها، وبناء مجتمع عربى قوى يواجه كافة التحديات والأخطاء الداخلية والخارجية التى تمسك بتلابيب الأمة العربية، وإيمان تلك الشعوب بأن اختفاء عبد الناصر من الصورة سيبدد كل الآمال التى عقدوها عليه وعلى ثورته، هذا باختصار كان أصداء وردود فعل قرار عبد الناصر بالتنحى عن حمل المسئولية فى مثل هذا الظرف العصيب من تاريخ مصر الحديثة. أما ما حدث فى مصر إلى أن تراجع عبد الناصر عن قراره فله قصة أخرى مثيرة، وتفاصيلها مثيرة أكثر، وكلها تؤكد للذين أرادوا اتهام عبد الناصر بأن ما يفعله إنما هو محاولة لامتصاص غضب الشعب إنما هو محض افتراء. وأن الرجل كان فعلا سيعتزل المسئولية، وأنه نزل عن قراره تحت ضغط الشعب الرهب، وتحت خوفه على مستقبل الثورة ومستقبل مصر.

# تحت ضغظ الهزيمة تنحى عبد الناصر وبضغط الشعب عاد إلى موقعه

لم يكد عبد الناصر يذيع بيان تنحيه عن تحمل المسئولية حتى اندفعت الجماهير بطريقة عفوية تلقائيـة إلى شوارع مدينة القاهرة وأزقتها وحواريهـا، وتوقف المرور نهائيا وانسدت الشوارع بكتل بشرية وأغلقت المحلات والمتاجر وانطلقت تهــتف هتافات عدائية ضد السيد ركريا محيى الدين الذي عينه جمال عبد الناصر لتحمل المسئولية من بعده، وانطلقت تهتف هتافات مدوية كالرعد تطالب برجوع جمال عبيد الناصر، وبدا أن زمام الأمن سيفلت كلية هذه الليلة إذا لم تتدارك الأمر القيادة السياسية والقيادة الأمنية في ذلك الوقت، وكل الصلة مقطوعة بين القـيادتين فلم يستطع أى منهما اختراق جمـوع الجماهير المتراصة لــــلالتقاء بالقيادة، وكـــانت وسيلة الاتصال هي التليــفون وحده. فلاركريـــا محيى الدين استطاع أن يلتقي بعبد الناصر في منشية البكري، ولا أنور السادات ـ وكان في هذا الوقت رئيسًا لمجلس الأمة \_ ولاشعراوي جمعة وزير الداخلية استطاع أن يتحرك من منزله، ولا محمد فاثق وزير الإعلام ولا المشير عبد الحكيم عامـر الذي كان محور اللوم وسبب الهزيمة ولكن الشعب الثائر الهائج لم يكن يفكر في هذه اللحظة في تحديد المسئول عن النكسة وقد كفياه عبد الناصر هذا الأمر عندما أعلن أنه يتحيمل وحده هذه الهزيمة، كان شغله المشاغل إثناء عبد الناصر عن قراره، وفي ظل هذا الحماس الشعبي البالغ لم تستطع حراسات عبد الناصر \_ رغم تشديدها منع أعداد من هذه الجماهير من لقاء عبد الناصر والتعبير عن رغبة الشعب العارمة في عودته، وحماية مصر من كارثة محققة غير معروفة النتائج ولا العواقب، ولكنه كـان يطمئنهم ولم يعدهم بالعــودة، أو الرجوع عن قراره، ووسط هذا الموج المتلاحق من السبشر وامتداده من القياهرة إلى الأقاليم والمحافظات والثورة تتملك كل كيانــه والقلق يحتويه خوفاً من مستقبل مظلم أمــر من الهزيمة والنكسة فوجىء بصوت صفارات الإنذار تدوى في الأفق معلنة عن وقوع غارة، وظننا أن الأمر لم يعد أمر الهزيمة بل الأمر أكبر بكثير. فالعدو لم تكفه هذه الهنزيمة وجاء ليكملها بهدف التخلص من عبد الناصر الذي أصبح معبود الجماهير ـ رغم ما مني به من هزيمة نكراء ـ وظننا أن إسرائيل تريد بغمارتها هذه التخلص من عبمد الناصر نهائياً، ولكن الجماهير لم تتحرك قيد أنملة ولم يهزها الخوف من الغارة، وبينما نحن مندوبى الصحف والإذاعة والتلفزيون نفكر في الأمر ونقلبه على كل الجوانب إذ بوكالات الأنباء تحمل بيانا إسرائيلياً يؤكد أنه ليس لإسرائيل أى طائرة اخترقت عمق القاهرة ومصر، فتنفسنا الصعداء وأيقنا أن القيادة الأمنية هداها تفكيرها إلى استخدام صفارات الإنذار لتفرقة تلك الجماهير المتراصة حتى يستتب الأمن ويعود الهدوء والاستقرار، ويتسع الوقت لبحث الأمر واتخاذ القرارات التي تهدىء روع هذه الجماهير الثائرة والمتحفلة في وقت واحد، والتي يمكن أن تحول البلاد إلى ثورة شديدة الشبه بشورة عام ١٩١٩ بالرغم من الخلاف الكبير بين الحالتين. فثوره ١٩ كانت ضد الإنجليز والاحتلال، والجماهير اليوم تطالب بمهة قومية وطنية رغبة منها أن تستمر ثورة يوليو التي عقدت عليها الآمال بعد أن خلصتها من الاحتلال وأجلت الاثجليز حتى تكمل أهدافها الست التي أعلنتها، وصادفت لديها ارتباحا وتأييداً عارما على أمل أن تبنى نهضة مصرية حقة تزيل الفوارق بين الطبقات، وتقيم مجتمع الكفاية والعدل بعد أن تقضى على إسرائيل وتعيد للفلسطينيين كافة حقوقهم المشروعة في إقامة دولتهم المستقلة. وهي التي خطت خطوات جبارة على الطريق بعد أن جمعت كل الفصائل الفلسطينية في منظمة واحدة هي منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات.

هذه الأمال العريضة هى التى كانت تحرك الجماهير لإعادة عبد الناصر ليقود الثورة من جديد ليكون ذلك أبلغ رد على المؤامرة الكبرى التى حيكت ضده من إسرائيل ومن العالم كله بمعسكره الشرقى والغربى، وكان نتيجتها نكسة يونيو التى قضت على قواتهم المسلحة وقسضت على كل الأمال الوردية التى أخذت تتزايد من ميلاد الشورة عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٧ الذى شهد تلك الهزيمة المرة، وأمام هذا الضغط الجماهيرى الزائد كان لابد أن يعيد عبد الناصر النظر فى قرار تنحيه. خاصة بعد أن أجمع كل المحيطين به، وفى مقدمتهم زكريا محيى الدين الأصل لهذه الأزمة سوى عودة عبد الناصر إلى تحمل المشولية، وبناء القوات المسلحة من جديد. خاصة وأن التاريخ ملىء بهزائم أشد من هزيمتنا وأعنف تحولت إلى نصر مؤزر بنفس القائد الذى منى بالهزيمة.

على أنني لا أبالغ لو قلت إن مصـر لم تشهد يوما ولا ليلة كيــوم ٩ يوليو عام ١٩٦٧ وليلة عشره يونيو منه، والصورة كانت كما يلي: الجماهير تملك الشوارع ولاتسمح لأحد بالمرور مهما حوصر برجال الشرطة. والمسئولون محددة إقامتهم في منازلهم لايستطيعون مغادرتها، لم يستطع أي منهم اختراق تلك الجماهير والالتقاء بعبد الناصر، والإذاعة والتلفزيون تنقل صورة الجماهير الزاحفة الهادرة المنادية بعودة عبد الناصر، والوكالات الأجنبية تنقل تلك الصورة الرائعة بالصوت والصورة، وتؤكد في أنبائها أن الجميع من قادة مصر ومسئوليها يؤكدون أنهم لايقبلون إلا العمل تحت قيادة عبد الناصر، وعبد الناصر أمر بعدم الاتصال به مباشرة، والدولة كلها انتقلت إلى مكتب سامي شرف الكائن في منزل في مواجهة منزل عبد الناصر في منشية البكرى، ضغط الشعب على عبد الناصر يتزايد من لحظة إلى لحظة، من المنتظر أن يفلت الزمام في أية لحظة إذا لم يحدث ما يهدىء من ثورة الجماهير الغاضبة. . كانت هذه الصورة التي نقلتها وكالات الأنباء من مصر وقرأناها على التكرز. وكان محمد فايق وزير الإعلام آنــذاك يداوم الاتصال بغرفة الأخــبار في الإذاعة يملى القليل من الأنباء ويتلقى الكثير من الأنباء، ونحن في هذا الخضم من الأنباء في غرفة الأخبار بالإذاعة. إذ بمندوبنا في مبنى البرلمان يتصل بنا ليبلغنا بأن الجماهير اقتحمت مبنى البرلمان في مـظاهرة مفعمة بالأسى والغـضب تطالب رئيس المجلس أنور السادات أن يفعل شيئاً وهو بدوره كان محاصراً بأعضاء مجلس الأمة يطالبونه بالتوجه إلى بيت الرئيس عبد الناصر على رأس وفد منهم كممثلين للشعب يطلبون منه التراجع عن قراره لتدارك الأوضاع الخطيـرة التي قد تنجم لــو استمــر واقفــا على هذا الجمود، وأضــاف مندوبنا أن أعضاء المجلس لما لم يستطيعوا اختراق زحف الجماهير للوصول إلى منزل عبد الناصر دخلوا قاعة واعتبروا أنفسهم في اجتماع شرعي باسم الشعب ملحين على مطلب عودة جمال عبد الناصر، وإصدار بيان بذلك، وأن البعض منهم قد قام بإعداد هذا البيان، وقام بعرضه على أنور السادات رئيس المجلس، إلا أن رئيس المجلس حاول الاتصال بعبــد الناصر ليعلمه بهذا البيان أو يدعوه إلى المجلس لإلقاء بيان من عنده، وقال المندوب إنه علم أن أنور السادات قد وفق في الاتصال بالفعل بمن يستطيع نقل رغبته هذه إلى عبد

الناصر. وأنه قرر \_ أى السادات \_ دعوة عبد الناصر للحضور إلى مبنى البرلمان إلا أنه طلب تكثيف الحراسة من حوله حتى يستطيع الوصول. إذ إن حرس البرلمان قد فشل بالفعل فى تفريق الجماهير وإخلاء المبنى منهم. وقد وصلت إلينا هذه الأنباء فى منتصف الليل أو قبل ذلك بقليل، وعاود مندوب الإذاعة فى البرلمان الاتصال ليبلغنا بأن الأمر قد استقر بالفعل على أن يوجه عبد الناصر بيانا للأمة من خلال المجلس الذى يمثلها ما دامت الطرق إلى المجلس مغلقة تماما، وأن أية محاولة لاختراق كتل الجماهير المتراصة داخل المجلس وخارجه وفى الشوارع المحيطة به قد تثير حالة من الفوضى يتعدر علاجها، وكان ذلك رأى الجهات المنوطة والمسئولة عن الأمن، وقال المندوب إنه سيتصل بنا مرة أخرى إذا وجد جديدا فى الأحداث. وبعد نصف ساعة دق جرس التليفون، وكان هو المتحدث وقال: لقد صدر البيان بالفعل وأنه يحاول الحصول عليه ليبغلنا به لإذاعته، وبعد دقائق وكان عبارة عن رسالة أرسل بها عبد الناصر إلى أنور السادات رئيس المجلس، وكان نصها كالتالى:

### السيد رئيس مجلس الأمة:

لقد كنت أتمنى لو ساعدتنى الأمة على تنفيذ القرار الذى اتخذته بأن أتنحى، ويعلم الله أننى لم أصدر فى اتخاذ هذا القرار عن أى سبب غير تقديرى للمسئولية وتجاوبا مع ضميرى، وما أتصور أنه واجبى، وإنى لأعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدى حتى الحياة إلى آخر نفس فيها.

إن أحدا لايستطيع ولايقدر أن يتصور مشاعرى في هذه الظروف إزاء هذا الموقف المذهل الذي اتخذته جماهير شعبنا وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها بإصرار على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن. ولا أعرف كيف أفي بهذا الحق، ولاكيف أعبر عن عرفاني اتجاهه.

إن الكلمات تضيع منى وسط زحام من المشاعر يملك على كل جوارحي، وأقول لكم

بأمانة ـ وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أننى مقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لايرد، ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى في مكانى، وفى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام.

وإننى لأشعر أن النكسة لابد أن تضيف إلى تجربتنا عمقا جديدا، ولابد أن تدفعنا إلى نظرة شاملة وفساحصة وأمسينة على عملنا. وأول ما ينبغى أن نؤكده بفهم واعتزاز ـ وهو واضح الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد إلى الأبد.

والآن أيها الأخوة المواطنون في كل مكان: أيديكم معى ولنبدأ مهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه.

جمال عبد النا صر

# مؤامرة يونيو ١٩٦٧ اشبه بمؤامرة فلسطين ١٩٤٨ اطراف عربية شاركت فى المؤامرتين بمواقف وصلت إلى حد الخيانة

تسجيل ما حدث في يونيو من تآمر على مصر وزعيمها جمال عبد الناصر لايمكن الإلمام بتفاصيله حاليا \_ رغم مرور ما يقرب من ٢٣ عاما على وقائعه وأحداثه \_ أو . بالأحرى تسجيل حقيقة ما حدث لايمكن التوصل إليها \_ رغم مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن ذلك لأنه ما زال هناك العديد من المواقف يكتنفها الغموض الكامل، وما أريح الستار عنه هو استنتاج وتحليل لايستند إلى وثائق وأسانيد تنفيه أو تؤيده.

والتاريخ وحده هو القادر على تسجيل حقيقة ما جرى في هذا اليوم المشتوم عندما تنكشف إليه الوثائق والآسانيد التي لاتكذب ، والتي لاتترك الفرصة للاستنتاج والتحليل الذي يجوز عليه الصواب والحطأ، وإلى أن يسجل التاريخ الحقائق عارية دون اجتهاد فإن ما لذينا من محاضر ما جرى في ٥ يونيو وما بعده ومن محاضر ماجرى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما ألف من كتب وبحوث عن هاتين المؤامرتين يؤكد أن الشبه بينهما كبير، وأنه لولا بعض المواقف العربية المشبوهة التي وصلت إلى حد الخيانة ما نجحت المؤامرتان في تحقيق أهدافها حيث حصلت إسرائيل على كل شيء - رغم أن القضية مازالت تقلقنا وتفرقنا كما فرقمتنا في عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ويوم قرار التقسيم الذي رفضناه، ويوم وتفرقنا كما فرقمتناها بسبب رفضنا للتقسيم ورفضنا لقيام إسرائيل، وأما مؤامرة ٥ يونيو فلم تحقق كل أهدافها. فقد كانت تستهدف أمرين. الأول تدمير القوات المسلحة، والأمر الثاني: القضاء على عبد الناصر وقد نجحت في تحقيق هدفها الأول، وفشلت في تحقيق هدفها الثاني حيث بقي عبد الناصر وعدل عبد الناصر عن تنجيه بضغط الجماهير التي لم مدفها المؤيمة، ووضعت يدها في يده لإزالة آثار هذه الهزيمة، وإحراز نصر يرد الكرامة تقبل الهزيمة، ووضعت يدها في يده لإزالة آثار هذه الهزيمة، وإحراز نصر يرد الكرامة العربية التي أهمينة التي أهما أرادت في حرب أكتوبر المظفرة عام ١٩٧٣ التي قلمت

أظافر إسرائيل، وقطعت يدها العليا التي كإنت تتفاخر بها بعد الهزيمة، ونحن الآن أمام أزمة طاحنة أخرى بسبب ما صنعه الرئيس العرافي صدام حسين بعدوانه على دولة الكوبت المسالمة، والموقف العسربي منها هو نفسه الذي حمدت في مؤاموة فلسطين ومؤامرة يونيو. انقسمام وتشرذم أدى إلى تدويل الأزمة وأخرجها من المظلة العمربية بسبب تعنت النظام العراقي وعدم انصياعه إلى تنفيذ ما طالبت به أغلب الدول العربية من ضرورة الجلاء غير المشروط من الكويت، وإعادة الشرعية إليها وإرالة كل الآثار المترتبة على العدوان. ثم يأتي بعد ذلك التفاوض والحوار حول ما يدعيه العراق من حقوق تأريخية له في الكويت، ويقيني أنه مع انتهاء أزمة الخليج ستنكشف مواقف عربية أيدت صدام في عدوانه وهي في نيتها الخلاص منه ومن شروره وأطماعــه وتوسعاته، وإن تأييدها له كان للف حبل المشنقة حول رقبته، وليس لإنقاذهُ ومساعدته للخروج من الأزمــة سالما بجيشه وشعبه. وستضاف أرمة الخليج إلى سمجل تآمر العمرب على بعضهم الذي يفتح الطريق أمام التمآمر الدولي عليهم جميعا بسبب تغليب البعض منهم أطماعهم الشخصية والذاتية والإقليمية على مصلحة أمتمهم العليا الأمنية والاستراتيمجية، وهو نفس ما حمدث في أعوام ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٦٧ بما يؤكد أننا العرب لانستفيد ولانريد أن نستفيد من دروس ما مر علينا من أحمداث ونكبات وأزمات. إنما نقع في نفس الأخطاء المتى جرت عملينا هذه النكبات والأزمات ، وردتنا إلى الوراء كلما حاولنا التقدم إلى الأمام.

هذه المقدمة وهذا الاستطراد كان ضروريا قبل الدخول في موضوعنا الأصلى وهو ماذا فعل عبد الناصر بعد توليه المسئولية! بعد أن انقشع غبار المعركة، وهذأ زلزال الهزيمة؟ كان أول مشكلة جادة واجهت عبد الناصر هي الود الذي كان مفقودا بين الجماهير وقواته المسلحة، فكانت الجماهير تسخر منهم وتهين كرامتهم كلما شاهدوهم في الشوارع أو في المسلحة الدوات النقل العام أو في المنتدبات والهيئات والمصالح الحكومية. حتى أن أفراد القوات المسلحة خلعوا زيمهم العسكري وارتدوا الزي المدني ليتحاشوا إهاتة الجماهير وسمخريتهم منهم. فلم يجد عبد الناصر لوقف هذا الأمر الخطيس إلا أن يعلن مسئوليته الكاملة عن الهزيمة واستعداده لأي جزاء يوقع عليه، حتى ولو تم شنقه في ميدان التحرير وسارع إلى

تغيير كافة قادة القوات المسلحة الذين كانوا سببا مباشراً للهزيمة، وغير الوزارة بوزارة قادرة على دعم الجبهة الداخلية وامتصاص الهزيمة وإشاعة روح التضحية وتدريبهم لدخول معركة للثأر من الهزيمة. وفي الوقت نفسه أعلن عبد الناصر أن هناك تحقيقا يجري مع هؤلاء القادة ومعاقبة الذي أهمل منهم في تأدية واجبه العسكري. كما بدأ في إعادة تنظيم القوات المسلحة وتعويضها عن السلاح الذي فقدته على أرض المعركة. فكان عليه أن يواجه مشكلة أخطر كانت نتيجة لكل هذه التغييرات وهي مشكلة عبد الحكيم عامر ورجاله وما قيل عن إنهم يعدون لانقلاب ـ على رغم أن عودة المشير عامر إلى قيادة القوات المسلحة لابد أن تتم في مقابل عودة عبد الناصر لقيادة الأمة هي المشكلة التي انتهت بوفاة المشير عامر أو انتحاره أو قتله. وسنعرض لتفاصيلها فيما بعد، المهم أن عبد الناصر بعد أن أعاد الانضباط في الجبهة الداخلية والقوات المسلحة تفرغ للاتصال بأطراف كانت على اتصال بما حدث. سواء كانت هذه الأطراف دولية أو عربية. ومن المحاضر المسجلة لهذه الاتصالات والمقابلات تتبين حقائق تدمى القلب وتحـز في الفؤاد ويندى لها الجبين، فمنها تبين طعنة الصديق لصديقه، وطعنة العربي لأخيه العـربي حقدا وكراهية، وقد أجرى عبد الناصر اتصالاته هذه وهو مجروح من الصديق التي تخلي عنه، ومن العربي الذي تظاهر بتأييده وهو يبطن له الغدر مسهلا مهمة الولايات المتحدة وإسرائيل اللذين أغلنتا تآمرهما عليه وعلى الأمة العربية بأسرها. وقد أثبتت حصيلة ما هو مسجل في هذه المحاضر أن المؤامرة كانت شديدة الشبه بالمؤامرة التي تمت في حرب فلسطين من العرب والأجانب الذين كانوا خلف إسرائيل. وكما حـدث في حرب فلسطين من امتناع الجيش العراقي عن تقديم المساعدة للجيش المصرى في معركة النقب بحبجته الشهيرة «ماكو أوامر» ثم ادعى العراق فيما بعد مستولية مصر عن الهزيمة في فلسطين، وأكمل مؤامرته وحبكها برفضه قرار وقف القتــال ليظهر مصر في صورة المتخــاذلة ويهدر ما قدمته من تضــحيات في هذه الحرب كانت معروفة للجميع، وكما حدث في حرب فلسطين من امتناع الجيش الأردني عن خوض المعركة إلى جانب الجبوش العربية، بل وأخلى الأرض لليسهود وعقد معهم معاهدة أمن واتفاق من وراء ظهر كل الجيوش العربية المشتركة في المعركة، ولم يستح

الملك عبد الله ملك الأردن آنذاك فيما بعد من من الإدعاء بأن الجيش الأردني هو الذي حارب وأنه ينتصر وأن الجيش المصرى هو الذي لم يحارب. رغم أن الجميع دمغه بالخيانة، وقرر كل المراقبين أنه لولا هذه الخيانة ولولا تخلي بعض الجيوش العربيةعن التزاماتها المتفق عليها قبل بداية الحرب ما كانت انتصرت إسرائيل ولما ضاعت فلسطين ولما نجحت المؤامرة الموضوعة لتثبيت أقدام إسرائيل في المنطقة لتكون رأس حربة تهدد الأمة العربية وتنفذ المخططسات الواضحة في المنطقة، فكما رفضت الأردن دخول القوات العربية إلى أراضيها للدفاع عنها ضد إسرائيل في حرب فلسطين رفضت أيضا دخول أية قوات إلى أراضيها في مؤامرة ٦٧ طبقا لما كان متفقا عليه. وهذا أمر ثابت في محاضر الاتصالات بعد المعركة. وزاد موقف الأردن المشبوه بعد حرب ٥ يونيو ما جاء في كتاب مؤامرة الصمت الذي صدر عن حرب ١٩٦٧ وماجاء في كتاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل من تأكيد دور الأردن المريب ـ ودور الملك حسين بـالذات ـ في اندلاع الحرب والتأكيد من أنه كان على علم بتفاصيل المخطط الإسرائيلي الأمريكي لسحب الجيش المصرى إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصر وعلى جيشه، وأنه استطاع أن يقوم بمهارة عالية بدور مزدوج تظاهر فيه بالتعاون مع العبرب في حين أنه يعد العدة مع أمريكا وإسرائيل لالحباح مخططاتها، ويسوم أن تذاع الوثائق سيدمغ بالخيانة كما حدث للملك عبد الله في حرب فلسطين.

#### · بعد الهزيمة واجه عبد الناصر الغازا واسرارا لم يستطع حل رموزها

من الألغاز والأسرار التي واجهها عبد الناصر بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم يستطع حل رموزها أو معرفة حقيقتها موقف الاتحاد السوفيتي ـ حليفه الأول وموقف بعض الدول العربية وما جرى من تقصير في أداء القوات المسلحة . حتى أن البعض اعتقد أنه وصل إلى حد الخيانة . فقد اتضع من موقف الاتحاد السوفيتي أنه لم يكن الحليف الذي يمكن أن يعتمد عليه ، وأنه ليس في مستوى الولايات المتحدة الأمريكية حليفة إسرائيل . فالولايات المتحدة كحليف لإسرائيل تكشف أوراقها أمامها ولاترفض لها طلبا مهما كان شاذا أو غير مقبول . في حين أن الاتحاد السوفيتي لم يلب طلبات مصر وهي تخوض معركتها الشرسة على رمال سيناء مع جيش إسرائيل المزود باحدث الأسلحة في الترسانة الأمريكية ، والعليم بكل الأسرار العسكرية المستحدثة .

أى أن أمريكا كانت تمد إسرائيل بأحدث سلاح لديها، والاتحاد السوفيتي يضن بمد مصر بأحدث ما لديه من سلاح ـ حتى السلاح المتخلف الذى كان يمد به مصر لم يلب كل احتياجاتها منه ـ وفوق هذا كله أن الاتحاد السوفيتي وقع في المصيدة بقصد أو بغير قصد أو باتفاق مسبق مع الذين خططوا للمؤامرة في زمن طويل بعناية وكفاءة، ولم يتخلوا عن مؤامرتهم بعد الهزيمة. بل أعدوا العدة للسير فيها إلى نهايتها حتى يتحقق لهم هدفهم الأساسي منها، وهو إرغام الدول العربية للجلوس على مائدة المفاضاوت لينفذوا شروط إسرائيل كمنتصر في الحرب. فالشك قائم فيما حمله السوفيت إلى عبد الناصر قبل وقوع الكارثة من أن هناك هجوما إسرائيليا حقيقيا على سوريا لابد أن تتصدى له مصر، والشك قائم في اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على طلبهما من مصر ألا تكون البادثة بالعدوان في فحر يوم المعركة ـ كما جاء على لسان السفيرين الأمريكي والسوفيتي في مقابلتهما لعبد الناصر كل على حدة، وصدع عبد الناصر بأمرهما، ولكنه فوجيء في مباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوى عن صباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوى عن آخره باقستدار قبل البدء في المركة. وهو يعطى ظلالا من الشك، ولكنه لم يتاكد بأية

وثائق بعده. وما حدث من سناقشات مع الاتحاد السوفيتى فى مسوسكو، والتى كان بطلها العربى الرئيس الجزائرى هوارى بوسدين وما حدث من حوارات مع الاتحاد السوفيتى فى القاهرة، وكان المحاور العربى فيه هو جمال عبد الناصر يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لايريد أن يتورط مع العسرب والوقوف ضد أصريكا بسبب العرب، بحجة أن هذا سيكلف حربا نووية ضارية مهلكة ليس لمنطقة الشرق الأوسط فحسب. وإنما لسائر دول العالم، وأنه ليس على استعداد لذلك فى حين أن أمريكا على نقيض الاتحاد السوفيتى كانت على استعداد لخوض أية حرب مهما كانت مآسيها وضحاياها من أجل الإبقاء على إسرائيل قوية تمتلك من السلاح ما يفوق بكثير ما يمتلكه العرب، وأن أمريكا ستهب لنجدتها بكل إمكاناتها وقدرتها إذا ما تألب عليها العرب، فكما هو ثابت فى وثائق محاضرات هذه المناقشة والحوار، والتى كشف عنها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد هذه الحقيقة.

وهذا كان اللغز الأول الذي يحير عبد الناصر في وقت قد عقد العزم على تحديث قواته المسلحة بعد الهزيمة وأن اعتماده الكلى في هذا الأمر لابد أن يعتمد على الاتحاد السوفيتى بعد أن تهدمت كل جسوره مع الولايات المتبحدة والغرب بأسره. وهناك حقيقة أخرى ظهرت جبلية في هذه المناقشة والحوار. هي أن الاتحاد السوفيتي قد عقد العزم على الاستفادة من الهزيمة لصالح مخططاته السياسية الرامية إلى الحصول على قواعد عسكرية في المنطقة في مواجهة القواعد العسكرية الأمريكية التي حصلت عليها أمريكا في المنطقة بالفعل، وهو ما وضع عبد الناصر في حرج كبير. فهو المنادي بتدمير القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة؟ فكيف يقبل أن يكون للسوفييت قاعدة عسكرية في مصر. وثمة هدف أخر أراد السوفييت تحقيقه بعد الهزيمة وهو ألا تكون هذه الهزيمة سببا في ارتكابه ما يورطهم في النزاع مع أمريكا، وقد اتضح ذلك من رد رئيس الدولة السوفيتي بودجوني في حواره مع عبد الناصر عندما اشتكي له من أن الأسطول الأمريكي السادس الذي لعب في حواره مع عبد الناصر عندما اشتكي له من أن الأسطول الأمريكي السادس الذي لعب دورا أساسيا في المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته في حين أن الأسطول السوفيتي كان تائها في البحر مثل البراميل العائمة الشاردة إلى درجة أن بحارته الإسطول الموفيتي كان تائها في البحر مثل البراميل العائمة الشاردة إلى درجة أن بحارته

لايجدون أرضا ثابتة يستريحون عليها في أجازاتهم وإنما على كل بحار منهم أن يقضى خدمة ستــة شهور متواصلة فــوق الموج حتى تتاح له فرصة العودة للراحــة في أحد مواني البحر الأسود. ولما رد عليه عبد الناصر وعرض عليــه ترحيبه بأن يقضى البحارة السوفييت أجازاتهم في المواني المصرية من الإسكندرية إلى بورسعيد كان رد بودجورني على الفوز بأنه الاداعي لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية. وهذا قد يسبب مشكة، وكان هذا الرد موضع استغراب من عبد الناصر. ولما حاول بودجورني في منافشاته الحصول على قاعدة سوفيستية في الإسكندرية وفي مرسى مطروح وإعطاء القوات السوفيستية الرابضه في هذه القاعدة حق رفع العلم على مقرها حتى تكون في مأمن، وجاء الرد على عبد الناصر ليبدى رأيه فيما سمع قال: إن الاتحاد السوفيتي يطلب قاعدة بحرية في مصر وهذا مخالف لمبادئها ومع ذلك فسهو مستعمد للموافقة عليه إذا كان الاتحاد السوفيتي على استعداد لأن يتحمل مسئولياتنا القتالية في المعركة القادمة وأنه قادر أن يقنع الشعب المصرى بقبول هذه القاعدة على هذا الأساس. إذ إن القاعدة في هذه الحالة تكون خدمة للمعركة وغيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية، وما فهمه عبد الناصر من النقاش أن الاتحاد السوفيتي لايريد أن يتحمل مستوليات قتالية باعتبار أن ذلك سوف يؤدى حمتما إلى مواجهة مم الأمريكيين. وأضاف عبد الناصر: إذا كان بودجورني قد خشي من نزول بحارة الأسطول السوفيتي في بورسعيد في أجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسرائيلية فإنه أي عبد الناصر لايتصور أن يكون السوفييت مستعدين بقاعدة في الإسكندرية لمهام قتالية مع مصر وحسم الموقف بترحيب بقضاء البحارة لأجازاتهم في مصر، ورفضه القاطع إعطاء السوقييت قاعدة عسكرية على أرض مصر. لأن ذلك معناه بطريقة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه، وهو أن يظهروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السوفيتي وهذه المواقف من الاتحاد السوفيتي حيرت عبد الناصر، وأظلمت الطريق أمامه في محاولة استعادة الكرامة المصرية بعد الهزيمة. فحليفه الذي كان يعقد الأمل على مساعدته ليس مخلصا لهذه المساعدة، ولكن عبد الناصر بسبب حرصه على غسل عار الهزيمة التي أدت إلى احتمالال أراض مصرية وعمربية وفلسطينيمة استمعان بالمستمشارين، ورضخ لبمعض شروط

السوفييت على أمل أن يقدموا له من المساعدة ما يحرر أرضه وأرض العرب، ومنع س إسرائيل من احتلال الضفة الغربية وضمها إلى أراضيها. فقد كان في رأيه إذا عادت مصر إلى ميدان القتال فلابد أن تعمل أولا على إقامة توازن دولي لمواجهة الأزمة. فإن الاتحاد السوفيتي يصبح أمرا أساسيا. فلن يكون لها مصدر للسلاح سوى السلاح السوفيتي وأن وقوف الســوفييت إلى جانب مــصر والعرب يخلق التــوازن الدولي للخروج من المشكلة. ولكن قد اتضح من اتصالنا معهم في أعقاب الهزيمة أن لهم مصالح في المنطقة يريدون المحافظة عليها ويريدون زيادتها \_ في نفس الوقت \_ باستغلال الظروف الطارئة بشرط عدم تورطهم مع الأمريكان، ونحن لانريد منهم سوى أن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت في حضن الأمريكان فهم أيضا سوف يخسرون موقفهم العالمي كله. ولكن السوفيسيت لم يدركوا كل هذه الحقائق وغلبوا رغبستهم في عدم التورط مع الأمريكان على ما سواها من الحقائق التي طرحها عبد الناصر في تخفيف تحالفه معهم. خاصة بعمد أن رفضوا مده بأسلحة هجومية وأصروا على ممده بالأسلحة الدفاعية فقط \_ اضطر مجبرا وفي حضور كل الزعماء السوفييت في مباحثاته معهم في موسكو أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز، وكان هذا تحولا كبيـرا في موقفه هز كل الاستراتيجيات وأدخل المنطقة في مرحلة خطيرة لايمكن معرفة نتائجها وتداعيها عما إذا كان ذلك في صالحهما أم ضد هذه المصالح.

## تنبا عبد الناصر بواقع مستقبل المنطقة على ضوء دراسته لعوامل هزيمته

قبل معركة يونيو كان رصيد عبد الناصر في علاقاته العربية صفرا، وقد كان لذلك تأثيره الكبيس على سير المعركة. بل ربما كان أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة المنكرة التي منيت بها ثورته وشعبه، فلم يغفس هؤلاء العرب له معاركه الضاربة منهم التي وصلت إلى حد سبابهم وشتمهم بأفظع الشتائم التي لايمكنهم نسيانها أو تناسيها، فلم ينسوا له أنه قسمهم إلى عرب أمريكان وعرب إنجليز، واتهامه لهم بأن ولاءهم لاسيادهم من الأمريكان والإنجليز أكثر من ولائهم لأمـتهم العربية وشعوب بلادهم، وهو أمر أثار شعـور الجماهير ضدهم، وثاروا عليهم ثورات عارمة أتت أكلها في البعض منهم وأسقطت عروشهم وزلزلت عروش الأخرين حتى كسادت تهوى تسقط ولكن هزيمته الشنيسعة في حرب يونيو أنقذتهم ومدت في عمر عروشهم، ومن همناكانت شماتتهم في هزيمته أكثر من شماتة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية الذين خططوا مع إسرائيل للتخلص من عبــد الناصر والقضاء على ثورته. التي قلبت الموازين وغيرت المعادلات وأصابت مصالحهم في المنطقة بأضرار بالغة، وهزت ولاء دول المنطقة لهم. بل إن بعض هذه الدول تخلى نهائيا عن هذا الولاء وأعطاه للاتحساد السوفيستي ـ الذي كان يسمعي في هذا الوقت لزلزلة منطقسة الشرق الأوسط من تحت أقدام الغمرب واتخاذ مواقع ثابتة بها يهدد الغرب بها أو يسماوم عليها، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير. فمصر وسوريا والجزائر وغيرها توطدت علاقاتهم مع الاتحاد السوفيتي إلى حد أزعج الغرب والولايات المتحدة. ولكن هذه العلاقات ظلت في نطاق الصداقة والتحالف فقط، ولم تتحول إلى درجة التعاون الاستراتيجي وعقد اتفاقيات الدفاع المشتركة مع الاتحاد السوفيتي كما هو حادث بين إسرائيل والغرب والولايات المتحدة. التي فتحت ترساناتها العسكرية لإسرائيل إبان حرب يونيو، وأرسلت لها سفن التجسس الأمريكيــة الأكثر حداثة وتطورا لتتمركز في البــحر الأبيض المتوسط تمدها بصور لتحركات القوات العربية ومواقعها العسكرية. مكنتها من تدمير هذه القوات والمواقع في اللحظات الأولى لنشوب الحرب، وأكسبتها المعركة في دقائقها الأولى، بينما الاتحاد السوفيتي لم يقم بمثل هذا الأمر إلا بعد انقشاع غبار المعركة ووقعت الهزيمة، وقد عبر عبد الناصر عن مرارته الشديدة من الموقف السوفيتى عندما قدم السوفيت له صورا لمطارات سيناء التقطها قمرهم الصناعى بعد المعركة. عندها علق لهم بقوله والآن تجيئون لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟ وسألهم: لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟ وهنا استجمع فى ذاكرته مجمل المواقف السوفيتية المتخاذلة منه قبل المعركة وبعدها، ومنها على سبيل المثال لاالحصر تلكؤهم فى إمداده بماثة طائرة كان قد طلبها منهم يوم ٦ يونيو ثانى أيام المعركة، ولكنهم عادوا بعد ذلك ووعدوه بتلبية كل طلباته من السلاح. وأضاف إلى ذلك ما أدهشه حقا من موقفهم عندما طلبوا منه والجمعية العامة ومعلم الأمن يبحثان قضية الشرق الأوسط بعد المعركة و تقديم تنازلات لايمكن القبول بها حيث إنها كانت التنازلات التي يطالب بها الأمريكان تنفيذا من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن هذا ما أفصح عنه عبد الناصر عن أن تنحيه عن السلطة لم يكن مدفوعا بالعواطف وحدها وإنما كانت عنده اعتبارات عملية وجزء منها متعلق بموقف الروس.

على أنه طبقا لما ورد من تقييم عبد الناصر لموقف وسياسية الروس من واقع ما ورد على لسانه من عبارات في متحاضر لقاءاته بالقادة السوفيت في القاهرة بعد المعركة، وفي مؤتمر القمة العربية في الخرطوم الذي عقد في أعقابها يلمح دون أدنى عناء أنه كان يستشعر بما سيجد من أحداث في المنطقة ويننبا بها. ففي هذه المحاضر جاء على لسانه أن الروس كانوا في حالة تردد وضياع في مواقفهم لأحداثها، وكانوا منكمشين، والأمريكان في حالة انفلات، واعترف بخطئه بعدم معرفته أر تقديره لهذا التغيير الواضح في الميزان الدولي، وأنه لم يحسب حسابا دقيقا لهذا التغيير، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية ـ بل أهمها على الإطلاق في هزيمته. كما أنه ثابت في هذه المحاضر التي نشرها محمد حسنين هيكل على الإطلاق في هزيمته. كما أنه قال لبودجرني خيلال زيارته للقاهرة صراحة ـ إنهم أي الروس لم يقدروا حتى الأن أن ضرب الدول غير المنتحارة هو خطوة في سياسة الأمريكان للانفراد بالسيطرة على العالم. وإذا وقفنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم، وسيصل إلى

بنيسة العالم الشالث، ثم ينتقل إلى دول أوروبا الشرقية، ثم يدخلون عليهم في بلادهم ذاتها. وفي مكان آخـر من هذه المحاضر قـال عبد الـناصر للروس إنهم سوف يخـسرون الحرب الباردة حستى وإن كان لديهم مليون قنبلة ذرية. وهي لن تستعسمل. وهكذا كان ما جاء على لسان عبد الناصر في عام ١٩٦٧ يتحقق اليوم في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات \_ أي بعد ٢٣ عاما فقد هبت رياح عاتية على الشرق اقتعلت مبادثها الاشتراكية والشيوعية من جذورها في الاتحاد السوفيتي الأم وفي دول أوروبا الشرقية، وسقطت نظم الحكم الديكتاتورية الشمولية بها، وحلت محلها نظم ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان وتبيح له حرية التعبير عن آلامه وآماله تلك الحرية التي كانت مكبوتة تماما في تلك النظم. بينما انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة وحدها على مصائر العالم دون منافسة حقيقية من الاتحاد السوفيتي الذي كاد يتقصى من هذه السيطرة ويحجمها، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد وحدها بوضع النظام الجديد لعــالم ما بعد التغيير الخطير، وتنفرد وحدها بمواجهة أحداث العالم تجمعه عندما تشاء وتحركه لتنفذ رغباتها دون قدرة أى دولة للتصدي لها، وخير ممثل على هذا ما تم بشأن أزمة الخليج التي ترتبت وتخلفت عن احتمالال العراق للكويت، وكمما تنبأ عميد الناصر بمستقبل العلاقة بين المقوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وصدقت نبوءاته بعد سنوات صدقت نبوءاته أيضآ فيما يختص بمستقبل أحداث منطقة الشرق الأوسط. فمن واقع تقييمه للهزيمة بالنسبة لمصر ودول هذه المنطقة جاء في أقسواله مطالبته بالضغط على الروس من الدول العسربية التي لها علاقات وطيدة معهم، ومن الدول غير المنحازة، وكل دول آسيا وأفريقيا كما طالب بأن يتحرك إخوانه في السعودية في قناة وضع علاقاتهم وغيرهم مع الأمريكان موضع الاختبار لاسترداد ما ضاع من أرض عربية في معركة يونيو الخاسرة. وقال إننا نحتاج إلى فترة ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات لكي نعود إلى معركة كبيرة واسعة النطاق لإزالة أثار العدوان، وأنه ينبغي ألا تمر الفترة الحالية في سكون دون حبركة، وإنما يجب أن نشحنها باشتباكات محددة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف لدى قواتنا الذي تخلف عن الهزيمة. كما أن هذه الفترة لابد أن نغطيها بعمل سياسي نشيط يقنع أصدقاءنا \_ وأولهم

الاتحاد السوفيتي \_ أننا فعلنا كل شيء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ولكنه لم يكن واثقا في جدوى الحل السياسي. إذا لم يكن مغلفا بقوتنا وقدرتنا على تحرير أرضنا، وأنه لابد من معركة تثبت فيها هذه القوة تلك القدرة، وهو ما حدث بالضبط فبعد سنوات الاستنزاف والتحرك السياسي الداعي في الأروقة الدولية كانت معركتنا المظفرة في أكتوبر عام ١٩٧٣ أي بعد ستة سنوات من الهزيمة التي مسحنا بها عار الهزيمة، ولفتنا نظر العالم بها إلى قضايانا وضرورة حلها حلا عادلا دائما شاملا. والا أننا ضيعنا كالعادة بخلافات هامشية شبت بيننا عطلت حصولنا على حقوقنا كاملة، وأعطت لأعدائنا فرصة استخدامها كدليل على أننا شعب يرفض السلام متعطش للحرب، على أن الحسنة الوحميدة التي استفاد بها عبد الناصر من الهزيمة أنه تخلى عن اتهاماته وشتائمه، وقدر مواقف المدول العربية خيس تقدير وقدر التنزاماتها وارتباطاتها نجت من حملته عليهم، بل وتخلى عن سياستة المجابهة لجمع شمل الموقف لمواجهة المواقف المتردية التي ترتبت على الهزيمة. فغفر لعدد منهم مواقف حامت حولها الشبهات، وأفسح صدره للاستماع إلى وجهات نظرهم ـ حتى ولو كانت مخالفة لوجهة نظره. يناقشهم ويحاورهم حتى يقنعوه أو يقنعهم على استمرار العلاقات بينهم بهذا الحوار وتلك المناقشة ما دامت تلك المناقشات تصب في قنوات أمتهم العربية من محنتهم، ولهذا حديث آخر بالتفصيل في محاولة لتقييم تلك المواقف.

## اعد عبد الناصر لحرب استنزاف طويلة شهد الطريق لحرب تغسل عار هزيمته

لعبد الناصر فضل كبير في إنجاح حرب أكتوبر التي غسلنا بها عار هزيمتنا في يونيو عام ١٩٦٧ واثبتنا بها أننا قادرون على قطع ذراع إسرائيل الطويلة في الحـرب التي كانت تتباهى وتعلن للعالم أن العرب بعد هزيمة يونيو تحولوا إلى جثة هامدة لاخوف منها. وأن الروح لن تدب فيها من جديد قبل خمسين عاما قادمة. وغيرنا بها الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على استخدام القوة لفرض السلام الذي تريده علينا. وهو سلام أقرب إلى الاستسلام، وأجبرناها على تغيير هذه الاستراتيجية ليحل محلها استراتيجية جديدة تقوم على أساس أن السلام لها لابد أن ينبع من الدول العربية وحدها، ولن يتم ذلك إلا بإسقاط وسيلة الحمرب كوسيلة لاقرار سلام عادل شامل دائم في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ثبت لـديها أنها لن تسـتطيع فرض الاسـتسلام علينا بالحـرب. حتى ولو فـتحت الولايات المتحدة الأمريكية ترساناتها العسكرية على مصراعيها لإسرائيل، وتلقت المزيد من الدعم المعنوى والمادى والعسكرى والاقتصادى من كل حلفائها التقليديين في الغرب بفضل اللوبي اليهودي في تلك الدول ونشاطه المكثف. وعليه فإنه إذا كان عبد الناصر قد مني بهزيمة تقسيلة. فحسبه أنه أعد للنصر الذي أحرزناه في حسرب أكتوبر عام ١٩٧٣ أي بعد ستة سنوات من هذه الهزيمة الشنيعة، فقد واجه المستولية باقتدار ومقدرة أدهشت كل المراقبين وأذهلت إسرائيل نفسها، فلم يكد أن يتولى المسئولية من جديد بعد تنحيه حتى أعاد تنظيم القوات المصرية وتقوية الجبهة الداخلية وجمع الصف العربى كما لم يجمعه من قبل، وحرك الدبلوماسية المصرية في الأروقــة الدولية لتثبيت الحق العربي والحق الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين احتلتهما إسرائيل في الحرب، وأعطى الإشارة لكل الأطراف العربية بأن تستخدم علاقاتها في المحافل الدولية التي كان من نتيجتها صدور قرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذي قرر حتمية الجلاء عن الأراضي الستى احتلتهما إسرائيل في الحرب. وما زال هذا القرار أساس أية تسوية للنزاع العربي الإسرائيلي إلى يومنا هذا، وما

زالت إسرائيل تحاول أن تفسر بنود هذا القرار لصالحها. ولكن المجتمع الدولى ما زال يرفض تلك التفسيرات ويمارس هذا المجتمع ضغطه على الولايات المتحدة الأمريكية لتقف على الأقل على الحياد وتتخلى عن موقفها المنحاز كلية لإسرئيل ظالمة أو مظلومة. إعمالا بكل المواثيق والاتفاقات والقرارات الدولية التي صدرت، والتي تدين إسرائيل بالعدوان وتطالبها بالجلاء عن الأراضى العربية التي احتلتها بالقوة مخالفة لكل هذه القرارات. وما زال المجتمع الدولي يضغط على الولايات المتحدة للتخلى عن استخدام حقها في الفيتو لوقف قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة التي تدين إسرائيل، وتطالب بتوقيع العقوبات عليها التي جاءت في ميشاق الأمم المتحدة الموقع عليه من كافة الدول الأعضاء ومن إسرائيل نفسها.

كان عزيزا على عبد الناصر الذي وهب نفسه وثورته لتحرير الشعوب من يد الاستعمار، وفي قمة نجاحه وبعد أن تحرر العديد من الشعوب العربية والإفريقية، وبعد أن تزايد العداء للاستعمار وأصبح يطارد في كل مكان، وتتعرض مصالحه لهجمات الثائرين وتسقط قلاعــه الواحدة بعد الأخرى، وتنسف قــواعده التي كان يرتكز عليهــا، كان عزيزا عليه والمد الشورى يغطى مساحبات شاسعة في بلدان العالم أن ينقض عليه الاستعمار ويحتل ثلث بلده بالإضافة إلى أرض عربسية أخرى. لذلك لم يأل جهده في إزالة آثار هذا العدوان بسرعة عن طريق عدة قنوات. أولها إعادة الـفاعلية للقوات المسلحة ورفع روحها المعنوية التي أحبطتها الهزيمة. ولتحقيق هذا الهدف أقصى قادتها الذين منوا بهذه الهزيمة، وأقال الوزارة. وكان هدفه من ذلك امتصاص الصدمة الكبيرة التي أصابت الشعب وهزت الجبهة الداخلية وقد راعى في اختياره للقادة الجدد للقوات المسلحة ووزراء الوزارة الجديدة تميزهم بالكفاءات العالية التي تتطلبها هذه المرحلة. ثم تفرغ بعد ذلك لتعويض ما فقدته القوات المسلحة من سلاح التعود به فاعليتها وروحها المعنوية التي حطمتها الهزيمة. ولم يكن أمامه سوى الاتحاد السوفيتي للحصول على السلاح المطلوب فباب الغرب مغلق بالضبة والمفتاح. لأنه والولايات المتحدة لهم تخطيط مرسوم قبل الحرب وبعدها يمنع تماما مساعدة عبد الناصر، ومن هذا كان قرار عبد الناصر إيفاد الرئيس الجزائري هواري بومدين على رأس وفد من الرؤساء العرب إلى موسكو مرتين. كانت المرة الأولى للعتاب على موقف الاتحاد السوفيتي المشين خلال الحرب، والمرة الثانيـة كانت لجس نبـض الاتحاد السوفيتي فيسما يختص بإعادة تسليح الجيش المصري، وربما يقصد الجيسوش العربية لإشعار إسرائيل على أقل تقدير أننا لم نستسلم للهزيمة، وأننا نعد لجولات أخرى لاسترداد كرامتنا المهانة، وحدد عبــد الناصر تخطيطه والمطلوب من الاتحاد السوفيتــى، وأعلن شعارين كانا من أهم الشعارات التي أكسبتنا المعركة فيما بعد. الأول «ما ضاع بالقوة لايسترد بغيرها» والثاني. أنه ليس هناك محظور في العمل السياسي. وتطبيقا لهذين الشعارين ثبت قرار وقف إطلاق النار حمتى لايعطى فرصة لإسرائيل أن تنتهمز فرصمة ضعف أسلحمة دفاعنا وتقوم بغارات تحطم بها منشأتنا الداخلية ومرافقنا الحميوية، وفي الوقت نفسه تسخين جبهة · القتال على خطوطنا مع إسرائيل باشــتباكات محدودة تحرر فيهــا قواتنا بعض النصر لكسر حاجز خوفنا من الدخول في معركة جديدة مع العدو، وعندما تصل إلينا شحنات السلاح التي تم الاتفاق عليها مع الاتحاد السوفيتي نقوم بحرب استنزاف طويلة تستغرق من سنة \* إلى ثلاث سنوات تمهد إلى المعركة الكبيـرة. وهذا هو ما حدث إلى أن وافته المنية في ٢٨ سسبتــمــبر عـــام ١٩٧٠ وقد أبلت قـــواتنا المسلحــة بلاء حــسنا في هذه الفــترة في حـــرب الاستنزاف، وتخللتها معارك مشرفة منها معركة رأس العش على الضفه الشرقية للقناة، ومنها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بصاروخ مصرى، ولو امتد العمر بعبد الناصر لخاض المعركة التي خاضها الرئيس الراحل أنور السادات بعده ولحل النزاع العربي ـ الإسرائيلي بالسلام مثلما فعل السادات بعد أن أيقن من تعامله مع الاتحاد السوفيتي عشرات السنسن أنه لن يدخل حـربا إلى جانبنا ضـد الولايات المتحـدة الأمريكية. وكــانت بداية هذا الخط قبوله لمبادرة روجرز ومـواجهة القادة السوفيت في عقر دارهم بقــراره هذا. كما أيقن عبد الناصر أن حرب الاستنزاف والمعركة الواسعة بعدها لن تؤتى ثمارها إلا بتضامن عربي مرن يبلور قدرا من الإرادة العربية تستخدم فيها إمكانيات الدول العربية الحليفة للاتحاد السوفيتي يمكن ويهيئ المناخ للنصر في المعركة. ويعطى في الوقت نفسه فرصته للمجتمع الدولي أن يتخذ قرارا يؤكد حق العرب الشابت في الأراضي التي احتلتها إسرائيل بالقوة. على أن تصب كل هذه المحاولات في قـناة واحدة لمواجهـة المأزق الخطير الذي وضعت فــيه الدول العربية بلا استثناء بعد هزيمة يونيو. ولكي يتحقق هذا الهدف كان لابد من تحاشي كل بأمانة ـ وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أننى مستنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لايرد، ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى في مكانى، وفى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى في حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام.

وإننى لأشعر أن النكسة لابد أن تضيف إلى تجربستنا عمقا جديدا، ولابد أن تدفعنا إلى نظرة شاملة وفساحصة وأمسينة على عملنا. وأول ما ينبسغى أن نؤكده بفهم واعستزاز \_ وهو واضح الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الحالد إلى الأبد.

والآن أيها الأخوة المواطنون في كل مكان: أيديكم معى ولنبدأ مسهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه.

جمال عبدالنا صر

# مؤامرة يونيو ١٩٦٧ اشبه بمؤامرة فلسطين ١٩٤٨ اطراف عربية شاركت فى المؤامرتين بمواقف وصلت إلى حد الخيانة

تسجيل ما حدث في يونيو من تآمر على مصر وزعيمها جمال عبد الناصر لايمكن الإلمام بتفاصيله حاليا \_ رغم مرور ما يقرب من ٢٣ عاما على وقائعه وأحداثه \_ أو بالأحرى تسجيل حقيقة ما حدث لايمكن التوصل إليها \_ رغم مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن ذلك لأنه ما زال هناك العديد من المواقف يكتنفها الغموض الكامل، وما أزيح الستار عنه هو استنتاج وتحليل لايستند إلى وثائق وأسانيد تنفيه أو تؤيده.

والتاريخ وحده هو القادر على تسجيل حقيقة ما جرى في هذا اليوم المشوم عندما تنكشف إليه الوثائق والأسانيد التي لاتكذب ، والتي لانترك الفرصة للاستنتاج والتحليل الذي يجوز عليه الصواب والخطأ، وإلى أن يسجل التاريخ الحقائق عارية دون اجتهاد فإن ما لدينا من محاضر ما جرى في ٥ يونيو وما بعده ومن محاضر ماجرى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما ألف من كتب وبحوث عن هاتين المؤامرتين يؤكد أن الشبه بينهما كبير، وأنه لولا بعض المواقف العربية المشبوهة التي وصلت إلى حد الخيانة ما نجحت المؤامرتان في تحقيق أهدافها المرسومة، وأن الفارق الوحيد بينهما أن مؤامرة فلسطين حققت كل أهدافها حيث حصلت إسرائيل على كل شيء ـ رغم أن القضية مازالت تقلقنا وتفرقنا كما فرقتنا في عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ويوم قرار التقسيم الذي رفضناه، ويوم الحرب التي خضناها بسبب رفضنا للتقسيم ورفضنا لقيام إسرائيل، وأما مؤامرة ٥ يونيو فلم تحقق كل أهدافها. فقد كانت تستهدف أمرين. الأول تدمير القوات المسلحة، والأمر الثاني: القضاء على عبد الناصر وقد نجحت في تحقيق هدفها الأول، وفشلت في تحقيق هدفها الثاني حيث بقي عبد الناصر وعدل عبد الناصر عن تنحيه بضغط الجماهير التي لم مدفها الثاني حيث بقي عبد الناصر وعدل عبد الناصر عن تنحيه بضغط الجماهير التي لم تقبل الهزيمة، ووضعت يدها في يده لإزالة آثار هذه الهزيمة، وإحراز نصر يرد الكرامة العربية التي أهينت، وكان لها ما أرادت في حرب أكتبوبر المظفرة عام ١٩٧٣ التي قلمت العربية التي أهينة التي أهينة التي وحرب اكتبوبر المظفرة عام ١٩٧٣ التي قلمت

أظافر إسرائيل، وقطعت يدها العليا التي كانت تتفاخر بها بعد الهزيمة، ونحن الآن أمام أزمة طاحنة أخرى بسبب ما صنعه الرئيس العرافي صدام حسين بعدوانه على دولة الكوبت المسالمة، والموقف العمريي منها هو نفسه الذي حمدت في مؤاموة فلسطين ومؤامرة يونيو. انقسام وتشرذم أدى إلى تدويل الأزمة وأخرجها من المظلة العربية بسبب تعنت النظام العراقي وعدم انصياعه إلى تنفيذ مـا طالبت به أغلب الدول العربية من ضرورة الجلاء غير المشروط من الكويت، وإعادة الشرعية إليها وإرالة كل الآثار المترتبة على العدوان. ثم يأتي بعد ذلك التـفارض والحوار حول مـا يدعيه العـراق من حقوق تأريخـية له في الكويت، ويقيني أنه مع انتهاء أزمة الخليج ستنكشف مواقف عربية أيدت صدام في عدوانه وهي في نيتها الخلاص منه ومن شروره وأطماعه وتوسعاته، وإن تأييدها له كان للف حبل المشنقة حول رقبته، وليس لإنقاذه ومساعدته للخروج من الأزمة سالما بجيشه وشعبه. وستضاف ارمة الخليج إلى سسجل تآمر العرب على بعضهم الذى يضتح الطريق أمام التآمر الدولى عليهم جميعا بسبب تغليب البعض منهم أطماعهم الشخصية والذاتية والإقليمية على مصلحة أمتسهم العليا الأمنية والاستراتيسجية، وهو نفس ما حدث في أعوام ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٦٧ بما يؤكد أننا العرب لانستفيد ولانريد أن نستفيد من دروس ما مر علينا من أحداث ونكبات وأرمات. إنما نقع في نفس الأخطاء المتى جرت علينا هذه النكبات والأزمات ، وردتنا إلى الوراء كلما حاولنا التقدم إلى الأمام.

هذه المقدمة وهذا الاستطراد كان ضروريا قبل الدخول في موضوعنا الأصلى وهو ماذا فعل عبد الناصر بعد توليه المستولية! بعد أن انقشع غبار المعركة، وهذا زلزال الهزيمة؟ كان أول مشكلة جادة واجهت عبد الناصر هي الود الذي كان مفقودا بين الجماهير وقواته المسلحة، فكانت الجماهير تسخر منهم وتهين كرامتهم كلما شاهدوهم في الشوارع أو في أدوات النقل العام أو في المنتدبات والهيئات والمصالح الحكومية. حتى أن أفراد القوات المسلحة خلعوا زيهم العسكري وارتدوا الزي المدني ليتحاشوا إهاتة الجماهير وسخريتهم منهم. فلم يجد عبد الناصر لوقف هذا الأمر الخطير إلا أن يعلن مسئوليته الكاملة عن الهزيمة واستعداده لأي جزاء يوقع عليه، حتى ولو تم شنقه في ميدان التحرير وسارع إلى

تغيير كافة قادة القوات المسلحة الذين كانوا سببا مباشراً للهزيمة، وغير الوزارة بوزارة قادرة على دعم الجبهة الداخلية وامتصاص الهزيمة وإشاعة روح التضحية وتدريبهم لدخول معركة للثأر من الهزيمة. وفي الوقت نفسه أعلن عبد الناصر أن هناك تحقيقا يجرى مع هؤلاء القادة ومعاقبة الذي أهمل منهم في تأدية واجبه العسكري. كما بدأ في إعادة تنظيم القوات المسلحة وتعويضها عن السلاح الذي فقدته على أرض المعركة. فكان عليه أن يواجه مشكلة أخطر كانت نتيجة لكل هذه التغييرات وهي مشكلة عبد الحكيم عامر ورجاله وما قيل عن إنهم يعدون الانقلاب \_ على رغم أن عودة المشير عامر إلى قيادة القوات المسلحة لابد أن تتم في مقابل عودة عبد الناصر لقيادة الأمة هي المشكلة التي انتهت بوفاة المشير عامر أو انتحاره أو قتله. وسنعرض لتفاصيلها فيما بعد، المهم أن عبد الناصر بعد أن أعاد الانضباط في الجبهة الداخلية والقوات المسلحة تفرغ للاتصال بأطراف كانت على اتصال بما حدث. سمواء كانت هذه الأطراف دولية أو عربية. ومن المحاضر المسجلة لهذه الاتصالات والمقابلات تتبين حقائق تدمى القلب وتحـز في الفؤاد ويندى لها الجبين، فمنها تبين طعنة الصديق لصديقه، وطعنة العربي لأخيه العسربي حقدًا وكراهية، وقد أجرى عبد الناصر اتصالاته هذه وهو مجروح من الصديق التي تخلي عنه، ومن العربي الذي تظاهر بتأييده وهو يبطن له الغدر مسسهلا مهمة الولايات المتحدة وإسسرائيل اللذين أعلنتا تآمرهما عليه وعلى الأمة العربية بأسرها. وقد أثبتت حصيلة ما هو مسجل في هذه المحاضر أن المؤامرة كانت شديدة الشبه بالمؤامرة التي تمت في حرب فلسطين من العرب والأجانب الذين كانوا خلف إسرائيل. وكما حــدث في حرب فلسطين من امتناع الجيش العراقي عن تقديم المساعدة للجيش المصرى في معركة النقب بحسجته الشهيرة «ماكو أوامر» ثم ادعى العراق فيما بعد مستولية مصر عن الهزيمة في فلسطين، وأكمل مؤامرته وحبكها برفضه قرار وقف القتــال ليظهر مصر في صورة المتخــاذلة ويهدر ما قدمته من تضــحيات في هذه الحرب كانت معروفة للجميع، وكما حدث في حرب فلسطين من امتناع الجيش الأردني عن خوض المعسركة إلى جانب الجيـوش العربية، بل وأخلى الأرض لليــهود وعقد مــعهم معماهدة أمن واتفاق من وراء ظهر كل الجيهوش العربية المشتركة في المعركة، ولم يستح

الملك عبد الله ملك الأردن آنذاك فيما بعد من من الإدعاء بأن الجيش الأردني هو الذي حارب وأنه ينتصر وأن الجيش المصرى هو الذي لم يحارب. رغم أن الجميع دمغه بالخيانة، وقرر كل المراقبين أنه لولا هذه الخيانة ولولا تخلى بعض الجيوش العربيةعن التزاماتها المتفق عليها قبل بداية الحرب ما كانت انتصرت إسرائيل ولما ضاعت فلسطين ولما نجحت المؤامرة الموضوعة لتثبيت أقدام إسرائيل في المنطقة لتكون رأس حربة تهدد الأمة العربية وتنفذ المخططات الواضحة في المنطقة، فكما رفضت الأردن دخسول القوات العسربية إلى أراضيها للدفاع عنها ضد إسرائيل في حرب فلسطين رفضت أيضا دخول أية قوات إلى أراضيها في مؤامرة ٦٧ طبقا لما كان متفقا عليه. وهذا أسر ثابت في محاضر الاتصالات بعــد المعركة. وزاد مــوقف الأردن المشبوه بعــد حرب ٥ يونيو ما جــاء في كتاب مــؤامرة الصمت الذي صدر عن حرب ١٩٦٧ وماجاء في كتــاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل من تأكيد دور الأردن المريب ـ ودور الملك حسين بـالذات ـ في اندلاع الحرب والتأكيد من أنه كان على علم بتفاصيل المخطط الإسرائيلي الأمريكي لسحب الجيش المصرى إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصر وعلى جيشه، وأنه استطاع أن يقوم بمهارة عالية بدور مزدوج تظاهر فسيه بالتعاون مع العسرب في حين أنه يعد العدة مع أسريكا وإسرائيل لانجاح مخططاتها، ويسوم أن تذاع الوثائق سيدمغ بالخيانة كما حــدث للملك عبد الله في حرب فلسطين.

### · بعد المزيمة واجه عبد الناصر الغازا واسرارا لم يستطع حل رموز ها

من الألغاز والأسرار التي واجهها عبد الناصر بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم يستطع حل رموزها أو معرفة حقيقتها موقف الاتحاد السوفيتي ـ حليفه الأول وموقف بعض الدول العربية وما جرى من تقصير في أداء القوات المسلحة . حتى أن البعض اعتقد أنه وصل إلى حد الخيانة . فقد اتضح من موقف الاتحاد السوفيتي أنه لم يكن الحليف الذي يمكن أن يعتمد عليه ، وأنه ليس في مستوى الولايات المتحدة الأمريكية حليفة إسرائيل . فالولايات المتحدة كحليف لإسرائيل تكشف أوراقها أمامها ولاترفض لها طلبا مهما كان شاذا أو غير مقبول . في حين أن الاتحاد السوفيتي لم يلب طلبات مصر وهي تخوض معركتها الشرسة على رمال سيناء مع جيش إسرائيل المزود باحدث الأسلحة في الترسانة الأمريكية ، والعليم بكل الأسرار العسكرية المستحدثة .

أى أن أمريكا كانت تمد إسرائيل بأحدث سلاح لديها، والاتحاد السوفيتي يضن بمد مصر بأحدث ما لديه من سلاح - حتى السلاح المتخلف الذي كان يمد به مصر لم يلب كل احتياجاتها منه - وفرق هذا كله أن الاتحاد السوفيتي وقع في المصيدة بقصد أو بغير قصد أو باتفاق مسبق مع الذين خططوا للمؤامرة في زمن طويل بعناية وكفاءة، ولم يتخلوا عن مؤامرتهم بعد الهزيمة. بل أعدوا العدة للسير فيها إلى نهايتها حتى يتحقق لهم هدفهم الاساسي منها، وهو إرغام الدول العربية للجلوس على مائدة المفاضاوت لينفذوا شروط إسرائيل كمنتصر في الحرب. فالشك قائم فيما حمله السوفيت إلى عبد الناصر قبل وقوع الكارثة من أن هناك هجوما إسرائيليا حقيقيا على سوريا لابد أن تتصدى له مصر، والشك قائم في اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على طلبهما من مصر ألا تكون البادئة بالعدوان في فسجر يوم المعركة - كما جاء على لسان السفيرين الأمريكي والسوفيتي في بالعدوان في فسجر يوم المعركة - كما جاء على لسان السفيرين الأمريكي والسوفيتي في مقابلتهما لعبد الناصر كل على حدة، وصدع عبد الناصر بأمرهما، ولكنه فوجيء في صباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوي عن صباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوي عن آخره باقتدار قبل البدء في المعركة. وهو يعطى ظلالا من الشك، ولكنه لم يتاكد بأية

وثائق بعده. وما حدث من مناقشات مع الاتحاد السوفيتى فى موسكو، والتى كان بطلها العربى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وما حدث من حوارات مع الاتحاد السوفيتى فى القاهرة، وكان المحاور العربى فيه هو جمال عبد الناصر يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لايريد أن يتورط مع العرب والوقوف ضد أمريكا بسبب العرب، بحجة أن هذا سيكلف حربا نووية ضارية مهلكة ليس لمنطقة الشرق الأوسط فحسب. وإنما لسائر دول العالم، وأنه ليس على استعداد لذلك فى حين أن أمريكا على نقيض الاتحاد السوفيتى كانت على استعداد لخوض أية حرب مهما كانت مآسيها وضحاياها من أجل الإبقاء على إسرائيل قوية تمتلك من السلاح ما يفوق بكثير ما يمتلكه العرب، وأن أمريكا ستهب لنجدتها بكل إمكاناتها وقدرتها إذا ما تألب عليها العرب. فكما هو ثابت فى وثائن محاضرات هذه المناقشة والحوار، والتى كشف عنها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد هذه الحقيقة.

وهذا كان اللغز الأول الذى يحير عبد الناصر في وقت قد عقد العزم على تحديث قواته المسلحة بعد الهزيمة وأن اعتماده الكلى في هذا الأمر لابد أن يعتمد على الاتحاد السوفيتى بعد أن تهدمت كل جسوره مع الولايات المتحدة والغرب بأسره. وهناك حقيقة أخرى ظهرت جلية في هذه المناقشة والحوار. هي أن الاتحاد السوفيتي قد عقد العزم على الاستفادة من الهزيمة لصالح مخططاته السياسية الرامية إلى الحصول على قواعد عسكرية في المنطقة في مواجهة القواعد العسكرية الأمريكية التي حصلت عليها أمريكا في المنطقة بالفعل، وهو ما وضع عبد الناصر في حرج كبير. فهو المنادي بتدمير القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة؟ فكيف يقبل أن يكون للسوفييت قاعدة عسكرية في مصر. وثمة هدف أخر أراد السوفييت تحقيقه بعد الهزيمة وهو ألا تكون هذه الهزيمة سببا في ارتكابه ما يورطهم في النزاع مع أمريكا، وقد اتضح ذلك من رد رئيس الدولة السوفيتي بودجوني في حواره مع عبد الناصر عندما اشتكى له من أن الأسطول الأمريكي السادس الذي لعب دورا أساسياً في المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته في حين أن دورا أساسياً في المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته في حين أن بحارته دورا أساسياً في المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته في حين أن بحارته

لايجدون أرضا ثبابتة يستريحون عبليها في أجازاتهم وإنما على كل بحبار منهم أن يقضى خدمة ستــة شهور متواصلة فــوق الموج حتى تتاح له فرصة العودة للراحــة في أحد مواني البحر الأسود. ولما رد عليه عبد الناصر وعرض عليمه ترحيبه بأن يقضى البحارة السوفييت أجازاتهم في الموانى المصرية من الإسكندرية إلى بورسعيد كان رد بودجورني على الفور بأنه لاداعي لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية. وهذا قد يسبب مشكة، وكان هذا الرد موضع استغراب من عبد الناصر. ولما حاول بودجورني في منافشاته الحصول على قاعدة سوفيــتية في الإسكندرية وفي مرسى مطروح وإعطاء القوات السوفيــتية الرابضه في هذه القاعدة حق رفع العلم على مقرها حتى تكون في مأمن، وجاء الرد على عبد الناصر ليبدى رأيه فيما سمع قال: إن الاتحاد السوفيتي يطلب قاعدة بحرية في مصر وهذا مخالف لمبادئها ومع ذلك فمهو مستعمد للموافقة عليه إذا كمان الاتحاد السوفيتي على استعداد لأن يتحمل مستولياتنا القتالية في المعسركة القادمة وأنه قادر أن يقنع الشعب المصرى بقبول هذه القاعدة على هذا الأساس. إذ إن القاعدة في هذه الحالة تكون خدمة للمعركة وغيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية، وما فهمه عبد الناصر من النقاش أن الاتحاد السوفيتي لايريد أن يتحمل مسئوليات قتالية باعمتبار أن ذلك سوف يؤدى حمتما إلى مواجهة مع الآمريكيين. وأضاف عبد الناصر: إذا كان بودجورني قد خشى من نزول بحارة الأسطول السوفيتي في بورسعميد في أجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسمراثيلية فإنه أي عبد الناصر لايتصور أن يكون السوفييت مستعدين بقاعدة في الإسكندرية لمهام قتالية مع مصر وحسم الموقف بترحسيب بقضاء البحارة لأجازاتهم في منصر، ورفيضه القياطع إعطاء السوفييت قاعدة عسكرية على أرض مصر. لأن ذلك معناه بطريقة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه، وهو أن يظهـروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السـوفيتي وهذه المواقف من الاتحاد السوفيتي حبيرت عبد الناصر، وأظلمت الطريق أمامه في محاولة استعادة الكرامة المصرية بعد الهزيمة. فحليفه الذي كان يعقد الأمل على مساعدته ليس مخلصا لهذه المساعدة، ولكن عبد الناصر بسبب حرصه على غسل عار الهزيمة التي أدت إلى احتـــلال أراض مصرية وعــربية وفلسطينيــة استــعان بالمستــشارين، ورضخ لبــعض شروط

السموفيسيت على أمل أن يقدموا له من المساعدة ما يحرر أرضه وأرض العمرب، ومنع إسرائيل من احتلال الضفة الغربية وضمها إلى أراضيها. فقد كان في رأيه إذا عادت مصر إلى ميدان القتال فلابد أن تعمل أولا على إقامة توازن دولي لمواجهة الأزمة. فإن الاتحاد السوفيتي يصبح أمرا أساسيا. فلن يكون لها مصدر للسلاح سوى السلاح السوفيتي وأن وقوف الســوفييت إلى جانب مــصر والعرب يخلق التــوازن الدولي للخروج من المشكلة. ولكن قد اتضح من اتصالنا معهم في أعقاب الهزيمة أن لهم مصالح في المنطقة يريدون المحافظة عليها ويريدون زيادتها ـ في نفس الوقت ـ باستغلال الظروف الطارتة بشرط عدم تورطهم مع الأمريكان، ونحن لانريد منهم سوى أن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت في حضن الأمريكان فهم أيضا سوف يخسرون موقفهم العالمي كله. ولكن السوفيسيت لم يدركوا كل هذه الحقائق وغلبوا رغستهم في عدم التورط مع الأمريكان على ما سواها من الحقائق التي طرحها عبد الناصر في تخفيف تحالفه معهم. خاصة بعد أن رفضوا مده بأسلحة هجومية وأصروا على مده بالأسلحة الدفاعية فقط \_ اضطر مجبرا وفي حضور كل الزعماء السوفييت في مباحثاته معهم في موسكو أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز، وكان هذا تحولا كبيسرا في موقفه هز كل الاستراتيجيات وأدخل المنطقة في مرحلة خطيرة لايمكن معرفة نتائجها وتداعيها عما إذا كان ذلك في صالحهما أم ضد هذه المصالح.

## تنبا عبد الناصر بواقع مستقبل المنطقة على ضوء دراسته لعوامل هزيمته

قبل معركمة يونيو كان رصيد عبــد الناصر في علاقاته العربية صــفرا، وقد كان لذلك تأثيره الكبير على سير المعركة. بل ربما كان أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة المنكرة التي منيت بها ثورته وشعبه، فلم يغضر هؤلاء العرب له معاركه الضاربة منهم التي وصلت إلى حد سبابهم وشتمهم بأفظع الشتائم التي لايمكنهم نسيانها أو تناسيمها، فلم ينسوا له أنه قسمهم إلى عرب أمريكان وعرب إنجليز، واتهامه لهم بأن ولاءهم لاسيادهم من الأمريكان والإنجليز أكثر من ولائهم لأمنتهم العربية وشعوب بلادهم، وهو أمر أثار شعسور الجماهير ضدهم، وثاروا عليهم ثورات عمارمة أتت أكلها في البعض منهم وأسقطت عروشهم وزلزلت عروش الأخرين حتى كسادت تهوى تسقط ولكن هزيمته الشنيسعة فمي حرب يونيو أنقذتهم وملت في عمر عروشهم، ومن هلناكانت شماتنهم في هزيمته أكثر من شماتة والقضاء على ثورته. التي قلبت الموازين وغيرت المعادلات وأصابت مصالحهم في المنطقة بأضرار بالغة، وهزت ولاء دول المنطقة لهم. بل إن بعض هذه الدول تخلى نهائيا عن هذا الولاء وأعطاه للاتحاد السوفيتي ـ الذي كان يسمعي في هذا الوقت لزلزلة منطقة الشرق الأوسط من تحت أقدام الغـرب واتخاذ مواقع ثابتة بهـا يهدد الغرب بها أو يســاوم عليها، وقد لمجموا في ذلك إلى حد كبير. فمـصر وسوريا والجزاثر وغيرها توطدت علاقاتهم مع الاتحاد السوفيتي إلى حد أرعج الغـرب والولايات المتحدة. ولكن هذه العلاقات ظلت في نطاق الصداقة والتحالف فقط، ولم تتحول إلى درجة التعاون الاستراتيجي وعقد اتفاقيات الدفاع المشتركمة مع الاتحاد السوفيتي كما هو حمادث بين إسرائيل والغسرب والولايات المتحدة. التي فتحت ترساناتها العسكرية لإسرائيل إبان حرب يونيو، وأرسلت لها سفن التجسس الأمريكيــة الأكثر حداثة وتطورا لتتمركز في البــحر الأبيض المتوسط تمدها بصور لتحركات القوات العمربية ومواقعها العسكرية. مكنتهما من تدمير هذه القوات والمواقع في اللحظات الأولى لنشبوب الحرب، واكسبتها المعركية في دقائقها الأولى، بينمها الاتحاد السوفيتي لم يقم بمثل هذا الأمر إلا بعد انقشاع غبار المعركة ووقعت الهزيمة، وقد عبر عبد

الناصر عن مرارته الشديدة من الموقف السوفيتى عندما قدم السوفيت له صورا لمطارات سيناء التقطها قمرهم الصناعى بعد المعركة. عندها علق لهم بقوله «الآن تجيئون لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟ وسألهم: لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟ وهنا استجمع فى ذاكرته مجمل المواقف السوفيتية المتخاذلة منه قبل المعركة وبعدها، ومنها على سبيل المثال لاالحصر تلكؤهم فى إمداده بماثة طائرة كان قد طلبها منهم يوم ٦ يونيو ثانى أيام المعركة، ولكنهم عادوا بعد ذلك ووعدوه بتلبية كل طلباته من السلاح. وأضاف إلى ذلك ما أدهشه حقا من موقفهم عندما طلبوا منه مد والجمعية العامة ومسجلس الأمن يبحثان قضية الشرق الأوسط بعد المعركة - تقديم تنازلات لايمكن القبول بها حيث إنها كانت التنازلات التي يطالب بها الأمريكان تنفيذا من مواقف الرسوم الرامي إلى إخراج مصر من حلبة الصراع مع إسرائيل، هذا ما أعلن عنه من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن هذا ما أفصح عنه عبد الناصر عن أن تنحيه عن السلطة لم يكن مدفوعا بالعواطف وحدها وإنما كانت عنده اعتبارات عملية وجزء منها متعلق بموقف الروس.

على أنه طبقا لما ورد من تقييم عبد الناصر لموقف وسياسية الروس من واقع ما ورد على لسانه من عبارات في محاضر لقاءاته بالقادة السوفيت في القاهرة بعد المعركة، وفي مؤتمر القمة العربية في الخرطوم الذي عقد في أعقابها يلمح دون أدنى عناء أنه كان يستشعر بما سيجد من أحداث في المنطقة ويتنبأ بها. ففي هذه المحاضر جاء على لسانه أن الروس كانوا في حالة تردد وضياع في مواقفهم لأحداثها، وكانوا منكمشين، والأمريكان في حالة انفلات، واعترف بخطئه بعدم معرفته أو تقديره لهذا التغيير الواضح في الميزان الدولى، وأنه لم يحسب حسابا دقيقا لهذا التغيير، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية ـ بل أهمها على الإطلاق في هزيمته. كما أنه ثابت في هذه المحاضر التي نشرها محمد حسنين هيكل على الإطلاق في هزيمته. كما أنه ثابت في هذه المحاضر التي نشرها محمد حسنين هيكل الروس لم يقدروا حتى الأن أن ضرب الدول غير المنحازة هو خطوة في سياسة الأمريكان في للانفراد بالسيطرة على العالم. وإذا وقفنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم، وسيصل إلى

بنيـة العالم الشالث، ثم ينتقل إلى دول أوروبـا الشرقـية، ثم يدخلون عليــهم في بلادهم ذاتها. وفي مكان آخر من هذه المحاضر قال عبد المناصر للروس إنهم سوف يخسرون الحرب الباردة حستى وإن كان لديهم مليون قنبلة ذرية. وهي لن تستعسمل. وهكذا كان ما جماء على لسان عميد الناصر في عام ١٩٦٧ يتحمقق اليوم في نهايــة الثمانينــيات وبداية التسعينيات ـ أي بعد ٢٣ عاما فقد هبت رياح عاتية على الشرق اقتعلت مبادئها الاشتراكية والشيوعية من جذورها في الاتحاد السوفيتي الأم وفي دول أوروبا الشرقية، وسقطت نظم الحكم الديكتاتورية الشمولية بها، وحلت مسحلها نظم ديمقسراطية تحترم حقوق الإنسان وتبيح له حرية التعبير عن آلامه وآماله تلك الحرية التي كانت مكبوتة تماما في تلك النظم. بينما انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة وحدها على مصائر العالم دون منافسة حقيقية من الاتحاد السوفيتي الذي كاد يتقصى من هذه السيطرة ويحجمها، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد وحدها بوضع النظام الجديد لعالم ما بعد التغيير الخطير، وتنفرد وحدها بمواجهة أحداث العالم تجمعه عندما تشاء وتحركه لتنفذ رغباتها دون قدرة أي دولة للتصدى لها، وخير مثل على هذا ما تم بشأن أزمة الخليج التي ترتبت وتخلفت عن احتــلال العراق للكويت، وكــما تنبأ عــبد الناصــر بمستقــبل العلاقة بين الــقوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وصدقت نبوءاته بعد سنوات صدقت نبوءاته أيضآ فيما يختص بمستقبل أحداث منطقة الشرق الأوسط. فمن واقع تقييمه للهزيمة بالنسبة لمصر ودول هذه المنطقة جاء في أقسواله مطالبته بالضغط على الروس من الدول العسربية التي لها علاقات وطيدة معهم، ومن الدول غير المنحازة، وكل دول آسيا وأفريقيا كما طالب بأن يتحرك إخوانه في السعودية في قناة وضع علاقاتهم وغيرهم مع الأمريكان موضع الاختبار لاسترداد ما ضاع من أرض عربية في معركة يونيو الخاسرة. وقال إننا نحتاج إلى فترة مـــا بين سنتين إلى ثملاث سنوات لكي نعبود إلى معركة كبيرة واسعبة النطاق لإزالة أثار العدوان، وأنه ينبغي ألا تمر الفترة الحالية في سكون دون حسركة، وإنما يجب أن نشحنها باشتىباكات محددة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف لدى قواتنا الذي تخلف عن الهزيمة. كما أن هذه الفترة لابد أن نغطيها بعمل سياسي نشيط يقنع أصدقاءنا \_ وأولهم

الاتحاد السوفيتي ـ أننا فعلنا كل شيء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ولكنه لم يكن واثقا في جدوى الحل السياسي. إذا لم يكن مغلفا بقوتنا وقدرتنا على تحرير أرضنا، وأنه لابد من معركة تثبت فسيها هذه القوة تلك القدرة، وهو ما حدث بالضبط فبعد سنوات الاستنزاف والتحرك السياسي الداعي في الأروقة الدولية كانت معركتنا المظفرة في أكتوبر عام ١٩٧٣ أي بعد ستة سنوات من الهزيمة التي مسحنا بها عار الهزيمة، ولفتنا نظر العالم بها إلى قضايانا وضرورة حلها حلا عادلا دائما شاملا. والا أننا ضيعنا كالعادة بخلافات هامشية شبت بيننا عطلت حصولنا على حقوقنا كاملة، وأعطت لأعدائنا فرصة استخدامها كدليل على أننا شعب يرفض السلام متعطش للحرب، على أن الحسنة الوحيدة التي استفاد بها عبد الناصر من الهزيمة أنه تخلى عن اتهاماته وشتائمه، وقدر مواقف الدول العربية خير تقدير وقدر التراماتها وارتباطاتها نجت من حملته عليهم، بل وتخلى عن سياستة المجابهة لجمع شمل الموقف لمواجهة المواقف المتردية التي ترتبت على الهزيمة. فغفر لعدد منهم مواقف حامت حولها الشبهات، وأفسح صدره للاستماع إلى وجهات نظرهم ـ حتى ولو كانت مخالفة لوجهة نظره. يناقشهم ويحاورهم حتى يقنعوه أو يقنعهم على استمرار العلاقات بينهم بهذا الحوار وتلك المناقشة ما دامت تلك المناقشات تصب في قنوات أمتهم العربية من محنتهم، ولهذا حديث آخر بالتفصيل في محاولة لتقييم تلك المواقف.

#### أعد عبد الناصر لحرب استنزاف طويلة

#### تمهد الطريق لحرب تغسل عار هزيمته

لعبد الناصر فضل كبير في إنجاح حسرب أكتوبر التي غسلنا بها عسار هزيمتنا في يونيو عام ١٩٦٧ وأثبتنا بها أننا قادرون على قطع ذراع إسرائيل الطويلة في الحسرب التي كانت تتباهى وتعلن للعالم أن العرب بعد هزيمة يونيو تحولوا إلى جثة هامدة لاخوف منها. وأن الروح لن تدب فيها من جديد قبل خمسين عاما قادمة. وغيرنا بها الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على استخدام القوة لفرض السلام الذي تريده علينا. وهو سلام أقرب إلى الاستسلام، وأجبرناها على تغيير هذه الاستراتيجية ليحل محلها استراتيجية جديدة تقوم على أساس أن السلام لها لابد أن ينبع من الدول العربية وحدها، ولن يتم ذلك إلا بإسقاط وسيلة الحرب كوسيلة لاقوار سلام عادل شامل دائم في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ثبت لـ ديها أنها لن تسـ تطيع فرض الاســ تسلام علينا بالحــ رب. حتى ولو فــ تحت الولايات المتحدة الأمريكية ترساناتها العسكرية على مصراعيها لإسرائيل، وتلقت المزيد من الدعم المعنوى والمادي والعسكري والاقتصادي من كل حلفائها التقليديين في الغرب بفضل اللوبي اليهودي في تلك الدول ونشاطه المكثف. وعليه فإنه إذا كان عبد الناصر قد مني بهزيمة ثقيلة. فحسبه أنه أعد للنصر الذي أحرزناه في حسرب اكتوبر عام ١٩٧٣ أي بعد ستة سنوات من هذه الهزيمة الشنيعة، فقد واجه المسئولية باقتدار ومقدرة أدهشت كل المراقبين وأذهلت إسرائيل نفسها، فلم يكد أن يتولى المسئولية من جديد بعد تنحيه حتى أعاد تنظيم القوات المصرية وتقوية الجبهة الداخلية وجمع الصف العربي كما لم يجمعه من قبل، وحرك الدبلوماسية المصرية في الأروقـة الدولية لتثبيت الحق العربي والحق الفلسطيني في الضفة الغمربية وقطاع غزة اللتين احمتلتهما إسرائيل فسي الحرب، وأعطى الإشارة لكل الأطراف العربية بأن تستخدم علاقاتها في المحافل الدولية التي كان من نتيجتها صدور قرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذي قسرر حتمية الجلاء عن الأراضي الستى احتلتها إسرائيل في الحرب. وما زال هذا القرار أساس أية تسويةً للنزاع العربي الإسرائيلي إلى يومنا هذا، وما رُ، من إسرائيل تحاول أن تفسر بنود هذا القرار لصالحها. ولكن المجتمع الدولى ما ذال يرفض تلك التفسيرات ويمارس هذا المجتمع ضغطه على الولايات المتحدة الأمريكية لتقف على الأقل على الحياد وتتخلى عن موقفها المنحاز كلية لإسرئيل ظالمة أو مظلومة. إعمالا بكل المواثيق والاتفاقات والقرارات الدولية التي صدرت، والتي تدين إسرائيل بالعدوان وتطالبها بالجلاء عن الأراضى العربية التي احتلتها بالقوة مخالفة لكل هذه القرارات. وما زال المجتمع الدولى يضغط على الولايات المتحدة للتخلى عن استخدام حقها في الفيتو لوقف قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة التي تدين إسرائيل، وتطالب بتوقيع العقوبات عليها التي جاءت في ميشاق الأمم المتحدة الموقع عليه من كافة الدول الأعضاء ومن إسرائيل نفسها.

كان عزيزا على عبد الناصر الذي وهب نفسه وثورته لتحرير الشعوب من يد الاستعمار، وفي قمة نجاحه وبعد أن تحرر العديد من الشعوب العربية والإفريقية، وبعد أن تزايد العداء للاستعمار وأصبح يطارد في كل مكان، وتتعرض مصالحه لهمجمات الثائرين وتسقط قلاعــه الواحدة بعد الأخرى، وتنسف قــواعده التي كان يرتكز عليهــا، كان عزيزا عليه والمد الشورى يغطى مساحات شاسعة في بلدان العالم أن ينقض عليه الاستعمار ويحتل ثلث بلده بالإضافة إلى أرض عربية أخرى. لذلك لم يأل جهده في إزالة آثار هذا العدوان بسرعة عن طريق عدة قنوات. أولها إعادة الـفاعلية للقوات المسلحة ورفع روحها المعنوية التي أحبطتها الهزيمة. ولتحقيق هذا الهدف أقصى قادتها الذين منوا بهذه الهزيمة، وأقال الوزارة. وكان هدفه من ذلك امتصاص الصدمة الكبيرة التي أصابت الشعب وهزت الجبهة الداخلية وقد راعى في اختسياره للقادة الجدد للقوات المسلحة ووزراء الوزارة الجديدة تميزهم بالكفاءات العالية التي تتطلبها هذه المرحلة. ثم تفرغ بعد ذلك لتعبويض ما فقدته القوات المسلحة من سلاح لتعود به فاعليتها وروحها المعنوية التي حطمتها الهزيمة. ولم يكن أمامه سوى الاتحاد السوفيتي للحصول على السلاح المطلوب فباب الغرب مغلق بالضبة والمفتاح. لأنه والولايات المتحدة لهم تخطيط مرسوم قبل الحرب وبعدها يمنع تماما مساعدة عبد الناصر، ومن هذا كان قرار عبد الناصر إيفاد الرئيس الجزائري هواري بومدين على رأس وفد من الرؤساء العرب إلى موسكو مرتين. كانت المرة الأولى للعنتاب على

### خال علينا مخطط خداع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية للمرة الثانية فكانت النكسة

مها تعمقنا في أسباب نكسة يونيوعام ١٩٦٧ فإن الأسباب التي نهتدى إليها لن تصل إلى حجم هذه النكسة، فإذا قلنا مشلا إن مراكز القوى التي رعاها وحماها المشير عبد الحكيم عامر هي التي حجبت الحقيقة المره التي كانت تعيشها الجبهة الداخلية ومؤسساتنا العسكرية فبينما كانت إسرائيل مشغولة بالتخطيط للحرب وتعد لها وتعلو على كل ما عداها من أمور، وبينما كانت إسرائيل مشغولة بالخصول على أحدث الأسلحة وإعداد جيشها لسائر الاحتمالات، إعداده للحرب التقليدية وإعداده لحرب العصابات والهجوم الجوى والبرى والبحرى كانت مؤسساتنا العسكرية تنهي آثار وتداعيات حرب اليمن التي كانت قيادتنا العسكرية مشغولة تماما في لجان تصفية الإقطاع وإرهاب المواطنين وتعذيبهم بفضل صلاح نصر رئيس المخابرات العامة بانحرافاته الرهيب وتصرفاته الوحشية واللا إنسانية التي اعترف بها عبد الناصر \_ لما ووجة بها بعد النكسة \_ بأنه لا علم له بكل هذه التصرفات. وكان البلاد كان يحكمها حكومتان حكومة يديرها المشير عامر وصلاح قصر وأعوانهما ومريدوهما والمنتفعون والمنافقون، وحكومة يديرها عبد الناصر ووزراؤه ورجاله. ومن هنا جاء لقب عبد الحكيم عامر الذي كانت تناديه به شلته وهو يبا ريس ويطلقون عليه لقب الرئيس مكرر.

الخلاصة أن إسرائيل كانت تعرف كل شيء عنا ونحن لا نعرف عنها أى شيء كما اتضح فيما بعد من التحقيقات التي جرت بعد النكسة التي اعترف فيها الفريق أول محمد صدقي محمود أن مصر لم تعرف أن إسرائيل حصلت من بريطانيا قبل المعركة بسنوات على الخطط التفصيلية لعمليات الطيران البريطاني عام ١٩٥٦ ومن ثم اتخذت من هذه الخطط السابقة نموذجا مؤسس عليه الخطط اللاحقة، ولو أن \_ والكلام للفريق أول صدقي \_ أحدا في مصر عرف بذلك \_ قبل فوات الأوان \_ لوقع التنبيه إلى أن إسرائيل تفكر و تخطط لضربة واسعة المدى من نوع ما قام به الطيران البريطاني عام ١٩٥٦ \_ ولما ظلت

موقف الاتحـاد السوفـيتي المشهن خلال الحــرب، والمرة الثانيــة كانت لجس نبــض الاتحاد السوفيتي فيسما يختص بإعادة تسليح الجيش المصرى، وربما يقصد الجيسوش العربية لإشعار إسرائيل على أقل تقدير أننا لم نستسلم للهزيمة، وأننا نعد لجولات أخرى لاسترداد بحرامتنا المهانة، وحدد عبــد الناصر تخطيطه والمطلوب من الاتحاد السوفيتــي، وأعلن شعارين كانا من أهم الشعارات التي أكسبتنا المعركة فيما بعد. الأول «ما ضاع بالقوة لايسترد بغيرها» والثاني. أنه ليس هناك محظور في العمل السياسي. وتطبيقا لهمذين الشعارين ثبت قرار وقف إطلاق النار حسني لايعطى فرصة لإسسرائيل أن تنتهز فرصة ضعف أسلحة دفاعنا وتقوم بغارات تحطم بها منشأتنا الداخلية ومرافقنا الحيوية، وفي الوقت نفسه تسخين جبهة القتال على خطوطنا مع إسرائيل باشــتباكات محدودة تحرز فيهــا قواتنا بعض النصر لكسر حاجز خوفنا من الدخول في معركة جديدة مع العدو، وعندما تصل إلينا شحنات السلاح التي تم الاتفاق عليها مع الاتحاد السوفيتي نقوم بحرب استنزاف طويلة تستغرق من سنة إلى ثلاث سنوات تمهد إلى المعركة الكبيسرة. وهذا هو ما حدث إلى أن وافته المنية في ٢٨ سبتمبر عمام ١٩٧٠ وقد أبلت قمواتنا المسلحة بلاء حسنا في هذه الفترة في حمرب الاستنزاف، وتخللتها معارك مشرفة منها معركة رأس العش على الضفه الشرقية للقناة، ومنها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بصاروخ مصرى، ولو امتد العمر بعبد الناصر لخاض المعركة التي خاضها الرئيس الراحل أنور السادات بعده ولحل النزاع العربي ـ الإسرائيلي بالسلام مثلما فعل السادات بعد أن أيقن من تعامله مع الاتحاد السوفيتي عشرات السنسن أنه لن يدخل حربا إلى جانبنا ضــد الولايات المتحــدة الأمريكية. وكــانت بداية هذا الخط قبوله لمبادرة روجرز ومواجهة القادة السوفيت في عقر دارهم بقراره هذا. كما أيقن عبد الناصر أن حرب الاستنزاف والمعركة الواسعة بعدها لن تؤتى ثمارها إلا بتضامن عربي مرن يبلور قدرا من الإرادة العربية تستخدم فيها إمكانيات الدول العربية الحليفة للاتحاد السوفيتي يمكن ويهيئ المناخ للنصر في المعركة. ويعطى في الوقت نفسه فرصته للمجتمع الدولي أن يتخذ قرارا يؤكد حق العرب الشابت في الأراضي التي احتلتها إسرائيل بالقوة. على أن تصب كل هذه المحاولات في قيناة واحدة لمواجهة المأزق الخطير الذي وضعت فيه الدول العربية بلا استثناء بعد هزيمة يونيو. ولكي يتحقق هذا الهدف كان لابد من تحاشي كل الافكار في القيادة العليا المصرية حبيسة لتصوراتها عن حدود الضربة الجوية الأولى، وأنها سوف تكون قاصرة على حدود ومطارات وقوات سيناء. هذه المعلومات التى أدلى بها الفريق أول صدقى محمود بعد النكسة استقاها على الطبيعة من واقع الخرائط التى وجدت في حوزه احمد الطيارين الإسسرائيليين التى سقطت في الاراضى المصرية في اليوم الأول للنكسة، وتبين منها دقة المعلومات المتوفرة لدى طيارى إسرائيل عن مطاراتنا، وتبين بوضوح تام شكل هذه المطارات وأبعادها وأماكنها. وأيضا مواقع الصواريخ الموجهة والمضادة. للطائرات ومناطق تدميرها على الارتفاعات المنخفضة، ومواصفات أغلب محطات ردارنا وأشكالها، ومواصفات طائراتنا وخصائصها الفنية وكيفيه التعامل معها، وهذا كله معناه أننا دخلنا حربا لم نكن نعرف عنها شيئا عن العدو الذي ستواجهه قواتنا المسلحة. ومعنى ذلك اننا وقعنا صكك هزيمتنا قبل خروج الطلقة الأولى. حيث إن كسب المعارك الحربية يعتمد في المقام الأول على مدى توافر المعلومات عن العدو. وهذا وحده السبب الرئيسي في النكسة التي منيت بها قواتنا المسلحة، وأما حجم هذه النكسة فلها أسباب أخرى عديدة وأهمها أننا خدعنا للمرة الثانية من إسرائيل، وكان ينبغي ألا نخدع. فمن يلدغ من جحر لا ينبغي أن يلدغ منه مرة ثانية.

وتفسير ذلك أننا دخلنا حربا مع إسرائيل قبل النكسة بأحد عشر عاما وهي حرب العدوان الشلائي، وفهمنا منها تخطيط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الذي لم تتغير في الحربين. ففي الأولى كان موشي ديان رئيسا لهيئة أركان حرب إسرائيل وفي الثانية رقي إلى وزير الدفاع، وقد اعتمد في حربه الأولى على الإجهاز على سلاح طيراننا بالكامل ليشل حركته وتصبح سماؤنا وأرضنا مفتوحة بتعامل معها مع قواتنا بحرية تامة. وكان الدرس الذي وعيناه من هذه الحرب وفهمه رجل الشارع أن تخطيط اسرائيل في أية حرب تخوضها بيينا لابد وأن نعتمد على نظرية يسميها العسكريون «الاقتراب غير المباشر» وهي نظرية تعتمد على عدم النورط في القتال والالتحام مع العدو. وبناء على هذه النطرية خطط العسكريون قرار انسحابها عام ١٩٦٧ على خطط العسكريون قرار انسحاب قواتنا في عام ١٩٥٧ وقرار انسحابها عام ١٩٦٧ على أساس إن هذين القرارين خدما إسرائيل وساعدا على تنفيذ مخططها. وقد تغلبنا عليها في

حرب ١٩٧٣ المظفرة لأننا لم نسحب من الميدان، والتحمنا معها ولم تتحمل شجاعة جنودنا وفدائيتها الفريدة، وكان ينبغي على قيادتنا العسكرية ألاتبتلع الطعم للمرة الثانية في حرب ١٩٥٧ وكان ينبغى اتخاذ الإجراءات لأن يبقى سلاح طيراننا سليما، والحق يقال أن هذه الحقيقة لم تغب عن بالهم وهم يخططون لحرب ١٩٥٧ وإنما فاتهم جزئية منها ـ بناء على معلومات خاطئة ـ منه أن بعد المسافة يمنع إسرائيل من تدمير سلاح الطيران في القاهرة وإنما يدفعها إلى تدمير طائراتنا في مطارات سيناء، ولكنهم فوجئوا بأن سلاح الطيران الإسرائيلي قام في طلعته الأولى بتدمير ٥٧٪ من سلاح طيراتنا، سواء المرابض منها في المطارات المنتشرة حول القاهرة. ففقدوا توازنهم وأصيبوا بصدمة لم يفيقوا منها إلاعلى أنباء هزيمة لجيشهم لم تحدث لجيش قبله، وأغلب الظن إنها لن تحدث لجيش بعده، وللحق والحقيقة من واقع ما أذيع من أسرار التكسة أنه كانت هناك أخطاء قاتلة في التشكيلات والإعداد والتخطيط قبل المركة بسنين، وكان ذلك معروفا لدى إسرائيل شجعها لا أن تجعل من حرب ١٩٦٧ مسجرد هزيمة وإنما جعلها ـ كسما قال جمال عبد الناصر ـ تستكمل خطة أمريكيه ـ إسرائيلية هدفها الأول أن تترك في معنويات جيشنا جرحا غائرا لا يندمل تذكر به الامة بأن عودتها إلى ميدان القتال في يوم من الايام أمر لا ينبغي التفكير فيه.

على أنه إذا كانت أخطاء مؤسساتنا العسكرية فادحة. فإن أخطاء إعلامنا في هذه الفترة أفدح. حيث وقع تماما في المصيدة التي نصبها له الإعلام الإسرائيلي. فقد أمعنت وسائل إعلامنا في ترديد نغمة تفوقنا على إسرائيل في كل شيء. مع أن الواقع القائم كان ينافي ذلك تماما. وزاد من ترديد هذه النغمة نقله لكل ما كانت تذيعه وسائل الإعلام الإسرائيلي ونشره عمدا لتحقيق أهداف ساعدتها في نجاح مخططها العسكري، فقد استخدمت كل ما تذيعه وسائل إعلامنا في التأثير على دول البيان الثلاثي. وهي أمريكا وانجلترا وفرنسا التي تعهدت في عام ١٩٥٠ بأن تجمسل تسليح دولة إسرائيل وحدها يعادل تسليح كافة الدول العربية لتحاشي احتكاك الحرب فيما بين تلك الدول، واستخدمت إسرائيل نغمة الإعلام المصرى في هذه الفترة للإخلال بالتوازن الذي أقرة البيان الشلاثي، واستطاعت أن تحصل المصرى في هذه الفترة للإخلال بالتوازن الذي أقرة البيان الشلاثي، واستطاعت أن تحصل

من تلك على أضعاف ما كمانت تحصل عليه منها. حتى أصبحت أقوى من الدول العربية مجتمعه وما زالت إسرائيل تسير في هذا المخطط إلى يومنا هذا، بادعاء أن ذلك دفاع عن أمنها ووجودها. إذ انها تعيش في بحر من كراهية العرب. بل تمادت في ذلك إلى حد محاولة إقناع العالم بأن احتفاظها بالأراضى العربية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السورية كمناطق استراتيجية تستشعر منها الخطر عليها قبل أن تتعرض له، والغريب أن هناك في العالم من يستمع إلى هذا المنطق الغريب ويوافقها عليه ويخيل عليه ما تدعيه من أنها حمل وديع قدر له أن يعيش في وسط ذئاب تعمل على افتراسه، لتغطى بذلك مخططاتها الاستيطانية الاستعمارية والاحتلالية وصولا إلى تحقيق الأمل الذي يتصوره الكنيست الإسرائيلي، وهو إسرائيل الكبرى التي تمتد حدودها من النيل إلى الفرات ـ أي أن مخططات الخداع الإسرائيلية ما زالت مستمرة منذ تاريخ النكسة إلى يومنا هذا، وستستحر هذه المخططات ما دمنا لا نفهمها ولانتخذ اية إحراءات ضدها. ويوم أن تشعر إسرائيل أننا فهمنا مخططاتها ستضطر لقبول السلام وتتوقف عن أطماعها غير المحدودة بحدود.

### هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا لامتصاص آثار نكسة يونيو ام كان صادقا بالفعل في التنحية

كان عبدالناصر من القادة الذين يستطيعون كظم غيظهم إلى أن تتاح لهم قرصة الانقضاض على أعدائهم ومعارضيهم، وكان من هذا الصنف من القادة الذين لايمكن أن تهزمهم الأحداث مهما كانت خطيرة ومريرة ومؤثرة عليهم شخصيا وعلى مستقبلهم السياسي وعلى وجودهم في مركز القيادة. فقد شهدته في مواقف عصيبة وصعبة، ولكنها لم تفقيده توازنه أو تحرك شعيرة من رأسه. أذكر منها على سبيل المثال لاالحيصر يوم أن هاجمت القوات الإسرائيلية الــقوات المصرية في الصبحه في شبه مذبحــة رهيبة وقابل النبأ المفجع بعدم اكتراث وإهمال شديد، وأنا لا أدرى أنه كان يعد العدة للثأر من هذه المذبحة بمذبحة شبيهة وقد كان وثار الجيش المصرى لنفسه بالفعل، وشاهدت عبد الناصر في شوارع الإسكندرية والجماهير تحاسبه في تجمهر كبير على سوء معاملته لمحمد نجيب الرجل الطيب كما كانوا يهتفون. وشاهدته وهو في منزله في منشية البكري وشوارع مصر تعج بالمظاهرات الصاخبة المؤيدة لمحمد نجيب، ولما سألته عما ينوى أن يفعله لتهدئه الشعب الثائر كانت دهشتي شديدة عندما رد على بقوله «خلى نجيب ينفعهم»... وشاهدته يوم الجمعة ٢ نوفمبر بعد العدوان الشلائي عام ١٩٥٦ بأقل من ٧٧ ساعة والقوات المصرية تتراجع في صحراء سيناء تحت وطأة ضربات الطيران الإسرائيلي الموجعة بسبب عدم وجود أية قيادة بعد أن دمرت سلاح طيراننا عن أخره وهو قابع في مطاراته ومواقعه. شاهدته وهو يخطب في الأزهر الشريف والياس يتملكه من أخمص قدمه إلى مفرق شعره وكأن الثورة قد انتهت وانتهى هو أيضا، ولم يمض سوى أسبوع إلا وعاد إلى الأزهر يخطب في يوم الجمعة التالي وقد تغيرت لهجتــه الانهزامية التي سمعناها في خطبته الأولى إلى لهجة المنتصر الذي عادت إليه الروح الوثابة القوية الواثقة من جديد، وخرج من الأزمة منتصرا، واستمرت الثورة وكتب له وللثورة عمر جديد، وقبل هذه الواقعة شاهدته وهي يتلقى أنباء مظاهرات الإخوان المسلمين في الشرقية وفي مناطق أخرى متفرقة من الجمهورية. وكيف أن الشعب قد استجاب لهم وانضم إليهم، وشاهدته وهو يصدر أوامره لقوات الجيش بالنزول إلى الشارع في هدوء عجيب. هدوء الواثق في نجاح الجيش في إخماد تلك

المظاهرات \_ وكان له ما أراد \_ فلم تمض ساعات حتى تلقى أنباء نهاية هذه المظاهرات وعودة الهدوء إلى مناطق الاشتباك، وشاهدته في أعقاب إقالة محمد نجيب الأولى التي هيجت الشارع المصرى والقوات المسلحة، وبدا أن الشورة على وشك أن تمنى بفشل ذريع ورأيته ثابت الجأش لا شبهة لأى اضطراب يعتريه، وكأنه مخطط للأمر تـخطيطا يستحيل ان يفشل. وقد رافقته في أول خطوة قام بها لتدارك هذا الأمر الخطير. وهي زيارته لسلاح الفرسان الذي كان أكثر أسلحة الجيش تأيـيدا لمحمد لمجيب والذي أضرب وضباطه وجنوده واعتصموا وطلبوا حضوره على الفور، ولبي الطلب وكله أمل أن ينجح في تهدئتهم وإنهاء إضرابهم واعتصامهم، ولكن الربح تأتي بما لاتشتهـيه السفن ـ كما يقولون ـ فقد فشل في إقناعهم فيسما طلبوا منه توضيحه حول الديمقراطية والحسرية والدستور واستفتاء الشعب عليها، وحول منصب رئيس الجمهورية الذي كان يطالب به محمد نجيب ـ كما فشل أيضا في الدفاع عن المخارى والمهازل التي ارتكبها الضباط الذين وقع عليهم اختياره لتولى مناصب مدنية بعد إعضائهم من مناصبهم العسكرية وخرج عبد الناصر والإضراب والاعتصام ما زالا مستمرين إلى أن تلبى مطالبهم. خرج وهو يدير أمرا لمواجهة اعتصام سلاح الفرسان بسبب إقالة نجيب، وكان الأمر الذي أعده هو التراجع عن القرار وإعادة نجيب للسلطة لحسين أن تهدأ العاصفة \_ خرج عبد الناصر من سلاح الفرسان وهتافات الشعب مازالست تصم أذنيه وتأتى له الأنباء بأنها في ازدياد، وأن قـوات الأمن فشلت في تفريقها، وأن هناك قطاعات أخرى في الجيش قد امتد إليها العصيان، وخاصة في وحدات الجيش في الاسكندرية واستطاع عبد الناصر أن يحصل من مجلس الثورة على قرار بإعادة محمد نجيب خلال أربع وعشرين ساعة، وأذيع النبأ، وهدأ الشارع ولكن فيما يختص بسلاح الفرسان سرت إشاعة في أسلحة الجيش أنه قام بانقلاب داخلي بهدف إرغام عبد الناصر وزملاته على الاستقالة، وأن الأمر لايتعلـق بمحمد نجـيب وحده، وإنما يتـعلق بمستقبل الثورة برمته وأيدت أسلحة الجيش بقاء الثورة وبقاء عبد الناصر وتحول الرفض إلى تأييد تام على المستوى الشعبي والمستوى العسكري، ومر عبد الناصر من الأزمة فقد كان يحنى رأسه للعاصفة وبعد مرورها كان يتسعامل مع أفرادها فردا فردا إلى أن يقضى عليهم جميعا. فقد أجرى حركات تطهير في الجيش لا تعد ولاتحصى. حتى قيل إن الجيش لم

يعد فيه ضابط واحد ممن عاصروا ضباط الثورة أو زملاءهم.

والسؤال الآن: هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا؟ الإجراءات التكتيكية التي قام بها في مواجهة الأحداث والازمات التي تعرضنا إليها وغيرها الذي لم نشر إليه. والواقع أن كل الأحداث التي مرت بعبد الناصر منذ قيام الثورة إلى وفاته لاتقل خطرا على الثورة من خطر النكسة. ولكن عبـد الناصر واجهها برباطة جأش وهدوء أعـصاب ساعدته على مواجهة تلك الأحداث وتدارك خطرها، ولكنه في النكسة أصيب باليأس وفقـد أعصابه تماما، وأيقن أن النظام كله قد انتهى وأنه ـ أي عبد الناصر وزملاؤه في انتظار من يحاسبهم بعد أن فقد النظام شرعيته بفشله في حماية الوطن. ومن هنا أغلب الظن أن تنحى عبد الناصر لم يكن أمرأ تكتيكياً \_ كما فعل فيما سبق من أحداث \_ وإنما التنحى كان نهائياً وترشيحه لزكريا محيى الدين ليتولى أمر الدولة من بعده كان صادقا فيه، ولم يكن محاولة لامتصاص آثار الهزيمة. فلم يكن يدر بخلد عبد الناصر أن الشعب سيطالب بعودته إلى السلطة ويرفض ترشيح غيره لتولى المسئولية ويجدد ثقته في قدراته على تخطى المحنة وقيادة ممصر إلى بر الأمان. فقد كان عبد الناصر من هول الكارثة مشلول التفكير عاجزًا عن التخطيط كما خطط من قبل للأحداث المهولة التي مرت به من قبل. كان كالغريق الذي ينتظر من ينتشله من الغرق وكان الشعب هو الذي انتشله من المخرق. فهو الذي خطط لكل الأحداث السابقة، ولكن الشعب هو الذي خطط لإنقاذه هذه المرة. وهو جميل طوق عنقه إلى أن وافته المنية بعد سنوات ثلاث من النكسة بذل فيها قصارى جهده ليثبت لهذا الشعب أنه جدير بثقته، ولكن الأجل لم يمهله لرد الجميل. ولكن يكفيه أنه في خلال تلك السنوات الشلاث قد أعاد تنظيم قواته المسلحة ورفع معنوياتها التي كانت وصلت إلى حد الاستسلام التام للهزيمة بما وفر لها من سلاح ومعدات جديدة أمده بها الاتحاد السوفيتي تكفيرا لموقفه المتخاذل إبان الأزمة. ويكفى عبد الناصر أنه خلال تلك السنوات الثلاث استطاع أن يصفى مراكز القوى ويصفى جيوبها التي كانت العنصر الرئيسي المتسبب في هذه النكسة وأصبحت الأمور طبيعـية ولما عادت الأمـور إلى طبيعتـها لقن إسرائيل درسا أفهمها أن مصر حية إلى الأبد، وأنها ستثأر لنفسها يوما، وكان هذا الدرس بداية حرب الاستنزاف بمعركة رأس العش وإغراق الغواصة إيلات بصاروخ مصرى الصنع.

### تغاضى عبد الناصر عن سائر الاخطاء الداخلية وخطط لحرب الاستنزاف التى استكملها السادات

لم يشأن عبـد الناصر أن ينكأ جرح هزيمة يونية ويحـاسب كل المتسببين فيــها ويسقط العقاب عليهم، وتحمل هو وزرها كاملاً أمام الشعب. فأمتص بذلك غضبه الذي كان قد فاق كل حد وبات يهدد بكارثة أعنف وأشد من كارثة الهزيمة، ثم شغل الشعب فيما بعد بمحاكمة المشولين عنها عسكريا بعد أن عين بدلاء لهم يتميزون بالعسكرية الصارمة والاطلاع على آخر تطورات فن الحرب نفسيا واستراتيجيا وتكتيكيا التى كانت تشكل عصب المستقبل بعد الهزيمة .. بالرغم من أن تصرفات البعض منهم قد وصلت إلى حد الخيانة العيظمى ـ وربما قيصد عبد الناصر من وراء هذا التصرف عدم تجديد إثارة الشعب وإمعانا في أن يشمل الهدوء والاستقرار كل الجبهات ليتفرغ لإدارة المعركة دون أية معوقات أو اعتراضات. تغاضى عبد الناصر عن سائر الأخطاء الداخلية والخارجية وبدأ يخطط لحرب الاستنزاف مستخدماً استجمابة الإتحاد السوفيتي لتمزويده بكل طلباته بالسلاح الذي يساعده على هذه الحرب، وهي الحرب التي استكملها أنور السادات من بعده. وتوجمها بحرب اكستوبر المظفرة التي أعادت لمصر والعسرب كرامستهم ومسمحت عار هزيمة يونيو المنكرة. وكانت بداية لقناعة إسرائيل إن الحرب مهما كانت، وأيا كان السلاح المستخدم بها لن تضمن لها الأمن والاستقرار والتعايش السلمي مع جيرانهما من العرب، ومنذ ذلك التاريخ أسقطت الحرب كوسيلة لحل القضايا المختلف عليها واستبدلت بالدبلوماسية والحوار والتفاوض.

وطبقاً لأقوال عبد الناصر في محاضر لقاءاته مع الزعماء العرب والروس وطبقاً لحواره غير المباشر مع الأمريكان تبين أنه بدأ بحرب الاستنزاف من واقع تخطيط محكم بهدف الحصول على نصر يضيع آثار الهزيمة التي منى بها جيشه وهددت نظامه كله بالسقوط. وكان تخطيطه الدعوة إلى مؤتمر قمة عربى تسوى فيه كل آثار تلك الهزيمة، ويتحالف الجميع بالضغط على الأمريكان والروس باستخدام عرب موسكو وعرب الأمريكان في هذا

الضغط، وكان مؤتمر الخرطوم ولاءاته الثلاث المشهورة. ولم يتورع عبد الناصر أن يغير من لهجته قبل الهزيمة التي كانت تتميز بإصراره على التغلب على الاستعمار بشتى ألوانه وتحرير مصر وغيرها من الدول النامية من سطوة هذا الاستعمار، وكان قد بلغ شأنا كبيرا في هذا الشأن قبل هزيمة يونيو، وعمت حركات التحرير معظم دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهو ما أعطى عبد الناصر دفعة قوية وأملا بقرب تحقيق ما يصبو إليه من طرد للاستعمار من كل هذه الدول. وفي رأيي أن هذا النجاح الذي أحرره عبد الناصر هو الذي جعل الشرق والغرب يتآمران عليه مع إسرائيل في حرب يونيو التي انتهت بتلك الهزيمة التي ظن الغرب والشرق أنها نهاية عبد الناصر الذي الله عليهم العالم وقلب تخطيطاتهم وخلط أوراقهم وأصابهم في مقتل، فلم تألف من عبد الناصر نغمة استسلام ملحوظة.

يقول في محاضر جلساته بالحرف الواحد: أريد مؤتمر قمة عربي لكى يتحرك إخواننا في السعودية وغيرها \_ وكانت علاقاته معها في أسوا حالاتها \_ ويضعوا علاقتهم بالأمريكان موضع اختبار ليس من أجلى، ولكن من أجل الضفة الغربية ووراء الملك حسين . وهو الذي شكك هواري بومدين الرئيس الجزائري في موقفه خلال حرب يونيو، وتشكك في معوقفه فيما بعد وعبر عن خوفه من هذه المواقف . . . والكلام لعبد الناصر \_ يكمل أقواله ليعلن: وأنا أعتبر إنه ليس هناك مسحظور في العمل السياسي إلا الإستسلام وعلينا أن نسجل لعبد الناصر إنه وهو في هذه اللحظات الحرجة خطط للمستقبل على ضوء رؤية سليمة ثبت قيما بعد سلامتها عندما قال . . نحن نحتاج إلى فشرة ما بين سنتين أو ثلاث سنوات لكي نعود إلى معركة كبيرة . نحن لازيد أن تبرد الاحوال على خطوطنا مع إسرائيل بعد وقف إطلاق النار مباشرة . . كنت أريد تثبيت وقف إطلاق النار وبعد أن تأكدنا أن هذا حدث لم يعد لدينا مانع من قبول اشتباكات محدودة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف عند القوات وتطعيمها بالنار. ومنذ أيام ونحن نتعامل في منطقة رأس العش على الضفة الشرقية من القناة . فقد اكتشف اليهود أن لنا قوات على منطقة في بور فؤاد وحاولوا تصفيتها، وحدثت اشتباكات كانت قواتنا فيها في حالة معنوية عمتارة ، وعاد عبد الناصر يؤكد تفاضيه عن كافة الاخطاء ويوضح تخطيطه فيقول:

لكننا نحتاج كما قلت إلى فترة سنتين أو ثلاثة قبل أن نكون مستعدين لمعركة واسعة النطاق لإرالة آثار العدوان وهذه الفترة لايمكن أن تمر ساكنه، وإنما لابد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا \_ وأولهم الإتحاد السوفيتي أننا قبلنا كل شئ من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ورأيي أن هذا لن يأتي بنتيجة. فمن الطبيعي أن ما أخذ بالقوة لايمكن أن يسترد بغيرها.

على أن التحول الذي طرأ على تفكير عبد الناصر بعد الهزيمة، هو أنه ليس من الحكمة ولا الحنكة السياسية أن يناصب العداء للغرب ويتهم كل من يسير في فلكه من العرب بالخيانة، ويطلب منهم التخلي عنه بعد أن وضع كل البيض في سلة السوفيت، ولما دقت ساعة العمل التي يشد الصديق أزر صديقه فيها تخلى عنه السوفيت ولمس لهم العذر في ذلك. فلماذا لايعطى العدر لهؤلاء العرب الذي يتشيعون للغرب؟ ولذلك لما قطعت مصر علاقاتها مع الأمريكان نتيجة لما ثبت من اشتراكهم عملياً في العدوان على مصر لم يطلب من العرب الذين لهم علاقات مع الغرب أن يقطعوها. بل طلب من السعودية والأردن وغيرهما الضغط على الأمريكان ليتخذوا موقفأ أكثر اتزانا وحيادا في معالجتهم لقضايا الشرق الأوسط أو يخففوا من انحيازهم لإسرائيل ـ وهو ما فعله السادات فيما بعد - والدليل على صحة ما نقول أن عبد الناصر وهو يقطع علاقته مع الأمريكان اتصل بالملك حسين وقال له: إنك لن تستطيع أن تستعيد الضفة الغربية إلا إذا وافسقت أمريكا على ذلك. وقال أيضاً: إن الضفة الغربية تختلف عن سيناء اختلافاً كلياً. لأن اليهود مهما بقوا في سيناء سنة أو اثنين أو ثلاثة يعرفون أنهم لن يستطيعوا البقاء فيها إلى الأبد. لأنهم بالدرجة الأولى يريـدون إخراج مصـر من صراع المصيـر العربي، وبالتـالى فهم لايريدون اشتباكا دائما مع مصر، وإنما هدفهم باستمرار صلح منفرد معها. وكذلك فإنه ليس في سيناء إلا عدد قليل من الناس، وهؤلاء الناس معظمهم من البدو ولديهم فرصة الحركة دون البقاء في مواقع ثابتة رهائن للاحتلال. ومعنى ذلك أنني استطيع أن أصبر على سيناء حتى أستعد، وأما الضفة الغربية فوضعها مختلف. . سيناء بالنسبة لنا مصرية وأما الضفة الغربية فهي مأساة.

# حَمَى عبد الناصر مصر من هزيمة اندح من يونيو ٦٧ اخطا٬ الناصريون عندما اتهموا السادات بالخيائم

كان هدف عبد الناصر من حرب الاستنزاف هو تسخين جبهة القتال. . وكسر حاجز الخوف عند القوات المسلحة . . . كما فعل مونتجمري في حرب العلمين بعد هزيمة الإنجليز أمام قوات روميل. . والتقاط الأنفاس. . . حتى يتم له إعداد الجيش من جديد. . والدخول في معركة أخرى مع إسرائيل. . . ينتصر فيها فيمسح عار الهزيمة التي منيت بها قواته . . . ويرد الجميل للشعب الذي تمسك به رغم مسئوليته الكاملة عن هذه الهزيمة . . . وكان لعبد الناصر هدف آخر غير تلك الأهداف جميعاً. . . وهو إشعار المحافل الدولية وخاصة مجلس الأمن. . . وهي تبحث قرار وقف إطلاق النار . . وحل القضية أن المعركة لم تنته بعــد . . وأن مصر والعرب لن يسلمــوا بالهزيمة . . وأن هذه الهزيمــة ليست آخر المطاف. . . حتى لايأتى القرار الـذي تصدره تلك المحافل مكافأة للمعتدى. . . وخذلانا للمهزوم. . ولــذلك تحمل عبد الناصــر خسائر تلك الحرب الفــادحة في الأرواح والمعدات والمنشآت في العمق. . وعلى طول ڤناة السويس. . بسبب المدافع الإسرائيليـة الثقيلة التي لم تجد أية مقاومة من قوانا المسلحة التي فقدت معداتها الدفاعية والهجومية على السواء. . والطائرات الإسرائيلية التي ألقت قنابلها في عمق الوجه البحرى في مدرسة بحر البقر دون أن تتصدى لها أية طائرة أو توجه إليها طلقة مدفع. . . وقصور الصواريخ القديمة التي كانت منصوبة، وقد كان لعبد الناصر ما أراد. فقد جاء القرار رقم ٢٤٢ والقرار رقم ٣٣٨ اللذان أصدرهما مجلس الأمن يقران بأن الأرض التي استولت عليها إسرائيل بعد ٥ يونية سنة ١٩٦٧ هي أراض محتلة . . لابد أن تعود إلى أصحابها الأصليين، وهما القراران اللذان أصبحا أساس التسوية فيما بعد خمسة عشر عاماً من هزيمة يونيو.

على أن عبد الناصر لم يكن على ثقة بأن أى قرار سياسى سيعطى الأمة العربية كافة حقوقها ـ بعد أن أدرك توجهات القوتين العظميين وقت ذاك لحماية إسرائيل . ثبت لديه بالدليل الحى والبرهان القاطع. ففي عام ١٩٥٦ تحالف الإنجليز والفرنسيون مع إسرائيل في

عدوان أكتوبر من هذا العام، ولم تنضم الولايات المتحدة لهذا التحالف ولكنها لم تعترض عليه.

وفي عام ١٩٦٧ وضحت هذه التسوجهات تماماً عندما تخلى الروس أصدقاؤه عنه في المحنة وحجبوا عنه السلاح، بل وطلبوا منه بطريقة متخطية \_ كما يقولون \_ الاستـجابة لمطالب الأمريكان. وظهر أن كل همهم هو دعم تواجدهم في مصر دون الدخول في صراع مع الأمريكان، وهنا فقط أدرك عبد الناصر أن الحرب وحدها لن تحل نزاع الشرق الأوسط ولكن لابد من عمل سياسي أساسه الحـوار والتفاوض. ولكن يمكن القيام بحرب محدودة لإحراز نصر في التحرك السياسي والدبلوماسي، ومن هنا أطلق شعاره القاتل أن ما أخذ بالقوة لايمكن أن يسترد بغيرها، لينطبق فقط على حالة هزيمة يونيو وليس لينطبق على النزاع برمنه. وهذا هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه الناصريون عندما اتهموا أنور السادات بالخيانة لما حمل لواء الحل السياسي. لأنه لو قدر لعبد الناصر أن يعيش لفعل ما فعله السادات. وقد بدأه بالفعل عندما توجه ي عام ١٩٧٠ إلى السوفيت وطلب منهم إمداده بأسلحة هجسومية ولم يمدوه إلا بالأسلحة الدفاعية فقط. عندئذ اضطر إلى قبول مبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة أنذاك للتسوية السلمية، وأبلغ القادة السوفيت بذلك وكان ذلك في ٢٩ يــوليو، ــ أبلغ السوفــيت بموافقتــه على مبــادرة روجرز في هذا التاريخ وكان قبله بحوالي شهرين وجه في أول مايو من العام نفسه خطابه الشهير إلى الرئيس الأمريكي نيكسون، وهو يحتفل مع العمال بعيدهم في شبرا الخيمة لأول مرة بعد نكسة يونيو \_ وهو الخطاب الذي أحدث دوياً كبيراً في مصـر والبلاد العربية لا لتحول عبد الناصر إلى أمريكا وهو الذي عاداها طوال فترة حكمه من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٠ ـ وإنما لما احتواه هذا الخطاب من مـضمون يخالف كل مادرجت عليه ثورة يوليــو. فقد جاء فيه بالحرف المواحد: إنني أتوجة من هنا بالنداء إلى الرئيس ريتشارد نيكسون أننا التقينا ــ تقابلت معه في سنة ١٩٦٣ وتكلمنا بصراحة \_ واعتقد أنه مازال يذكر حديثنا وكان في هذا الوقت خارج السلطة. أقول: إننا برغم كل ماحدث لم نغلق الباب نهائياً مع الولايات 

الرئيس نيكسون، وأقول له: إن الولايات المتحدة الأمريكية على وشك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربية.. إن الولايات المتحدة الأمريكية حين تقوم بخطوة أخرى على طريق تأكيد التفوق العسكرى لصالح إسرائيل سوف تفرض على الأمة العربية موقفاً لارجعة فيه. موقفا علينا أن نستنتج منه ما هو ضرورى، وذلك سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأبة العربية لعشرات السنين. وربحا لمثات السنين. أقول له وهو يعرف أننى أعنى ما أقول أن الأمة العربية لن تستسلم ولن تفرط، وهى تريد سلاما حقيقيا ولكنها تؤمن بأن السلام لايقوم على غير العدل. إلى كل ما جاء فى هذا الخطاب من إعلان من جانب عبد الناصر أنه يطالب بحل سلمى مشرف يقر الحل العادل والشامل والدائم للصراع العربى - الإسرائيلي. ويكفى أن يوجه عبد الناصر هذا الخطاب إلى نيكسون بالرغم من عدم وجود أية علاقات بين مصر وأمريكا، وهكذا أدرك عبد الناصر أنه ليس في مقدوره محو إسرائيل من الوجود. كما كان يمنى الشعب المصرى والشعوب العربية جميعاً منذ قيامه بثورته، ولكن إدراكه هذا جاء متأخراً جداً.

على أية حال فإنه يذكر لعبد الناصر أنه منذ هزيمة يونيو إلى أن وافته المنية لم يقدم على عمل أرعن، ولم يركب موجة القيادة الجديدة للقوات المسلحة بعد الهزيمة التى كانت تصور له أن فى مقدورها تحرير سيناء والوصول إلى الحدود الدولية مع إسرائيل فى نهاية عام ١٩٧٠ لأنه فى هذه المرة كان مطلعاً تماماً على أحوال الجيش ودرجة استعداده لهذه المهمة، وكان على قناعة تامة بأه من المستحيل أن ينجز جيش هذه المهمة بنجاح وهو لايملك الأسلحة الهجوية المطلوبة لها. وكل ما يملكه أسلحة دفاعية تخترقها إسرائيل كل يوم وتنفذ إلى ضرب أعماق مصر، وأنه مازال أمامه سنوات كى تتوفر له تلك الأسلحة الهجومية، ويقوم بالتدريب عليها، فلم يغرر به كما غرر به فى عام ١٩٦٧.

عندما أعلنت قيادة الجيش أنها قادرة على إحراز نصر على إسرائيل وأنه لما أعطى إشارة البدء تبين له أنها قيادة من ورق، وتفرقت أيدى سبا عند بدء المعركة ودمر سلاحها الجوى بأكمله في ساعات، لم يرد عبد الناصر أن يقع في هذا الخيطأ مرة أخرى، ولذلك رفض

التصديق على خطة الفريق محمد فوزى رقم ٢٠٠ وأسره بالتركيز على تنفيذ الخطة الجرانيت، بعد انقضاء الفترة الأولى من وقف إطلاق النار مباشرة فى نوفمبر عام ١٩٧٠، وبرقضه هذا حمى مصر من هزيمة كانت ستكون أفدح من هزيمة يونيو.

وكانت إسرائيل قد حققت كل أهدافها في القضاء نهائياً على الجبهة المصرية التي كانت ترتعد منها، وتعمل لها الف حساب. فلم تستطع الاشتباك معها وحدها وإنما كل اشتباك معها كان باشتراك الغرب كله أو بعضه. يمدها بالعون المادي والعسكري، بل ودخول المعركة معها، على أنه لو كان عبد الناصر واثقاً من النصر لاعطى إشارة البدء في تنفيذ الخطة ٢٠٠ على الفور. فقد كان حريصاً على إزالة أثار الهزيمة وإحراز نصر عسكري بأسرع مايمكن. يرتب عليه نشاطاً سياسياً مكثفا لحل نزاع الشرق الأوسط. كما كان حريصاً في الوقت نفسه ألا يعرض نفسه لهزيمة ثنائية لايقوى على احتمالها تهز الثقة التي أولاه إياها الشعب ومازال ينتظر منه الكثير، وقد كان حرصه على استمرار هذه الشقة وتقويتها لايعدله أي حرص آخر، وكان واثقا أن طريق استمرار هذه الثقة هو عمل عسكرى ناجح، ولذلك وجه جل اهتمامه على تطهير الجيش من الانهزاميين لصنع جيش قادر على الحرب يرد الكرامة التي أهينت ويحسن سمعة المقاتل المصرى التي وصلت إلى

وفى الوقت نفسه كان حريصاً على الظهور أمام الشعب بمظهر القوة حتى يقر فى ذهنه قدرته على تحقيق كافة آماله، ولذلك كان حريصاً أن يحجب عنه كل ما يظهره بالضعف، وفى هذا المجال بلغ اهتمامه بإخفاء المرض الذى أشتد عليه بعد الهنزيمة، وزاد من نسبة السكر فى جسمه التى أثرت على نشاطه وتحركه، فكان يحرص الحرص كله وهو يرتاد مبنى قسصر القبة ومبنى الحكومة المركزية فى هليوبوليس أن يخلى طريقه إلا من حرسه الخاص جداً حتى لايشهد غيره تعثره وهو يصعد درجات السلم القليلة فى طريق مكتبه حتى أن أحد المندوبين نشر خبراً مؤداه أنه أمضى ساعتين فى عيادة قصر القبة فثارت ثورته وطلب التحقيق مع هذا المندوب. ولما نشر مندوب آخر أن ملجس الوزراء عقد فى منزله

- ملمحا بطريق غير مباشر أن عقد هذا المجلس في منزله بسبب عدم قدرته على الحركة - ولما نقلت الإذاعة النبأ في نشرتها الصباحية وفي أقوال الصحف تملكه الغضب والغيظ حتى أننى فوجئت. وكنت مندوباً للإذاعة في رياسة الجمهورية. باتصال تليفوني من السيد سامي شرف فسي ساعة مبكرة في منزلي بأحد الآيام ليسألني عما إذا كنت الذي وافيت الإذاعة بهذا النبأ. وبدأ حديثه بالإطراء على هذا النبأ ولكنني لم أقع في الفخ. فمن طبعي الا أنسب لنفسي مجداً لم أفعله، ونفيت له أن أكون أنا صاحب النبأ. فسألني إذا لم أكن أنا صاحبه فمن أين حصلت عليه الإذاعة؟ فقلت له: ربما تكون قد نقلته من إحدى الصحف أو أذاعته فقط في نشرة أقوال الصحف، وانتهى الحديث التليفوني - وكانت الساعة قد قاربت الثامنة صباحاً - ولعب الفأر في عبى وبعد نصف ساعة كنت في قصر القبة ولشد ما كانت دهشتي أنني علمت أن تحقيقاً يجرى مع المندوب صاحب النبأ الذي نشرته جريدته دون الجرائد الأخرى. فآمنت بأن عبد الناصر في هذه المرحلة كان يعوقه المرض لإنجاز مايريد وأنه لو كان صحيحاً معافي لكان له شأن آخر.

## منَّع عبد الناصر إسرائيل من تحقيق (هدافها السياسية والعسكرية فلم ينته الصراع العربى الإسرائيلي إلى الابد... ولم تحتف الناصرية

حقق عبد الناصر جل آماله في إزالة آثار هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ رغم اشتداد المرض عليه السدى حدد نشاطه وتحركاته في أحرج مراحل ثورته، واستطاع إصلاح ما انكسر وترميسم ما انهدم في وقت قياسي. فلم ينته عام الهزيمة إلا وكان قد صفى القيادة العسكرية السابقة وعلى رأسها المشير عبد الحكيم عامر التي كانت السبب الرئيسي في حدوث الهزيمة، وصفى المخابرات العامة التي كان يرأسها صلاح نصر المتشيع لعبد الحكيم عامر وأقوى أنصاره الذي كان جهازه أحد أسباب الهزيمة بتقاريره الخاطئة والمبالغة.

وأعداد تشكيل الاتحداد الاشتراكي وأجرى انتخابات جديدة لمجلس الأمة، وأعداد تشكيلات أجهزة القطاع العام ومؤسساته وشركاته، ونظف الجيش من كل أعوان المشير عبد الحكيم عامر بنفس الطريقة التي اتبعها مونتجمرى القائد البريطاني عندما تولى قيادة الجيش البريطاني في العلمين بعد هزيمته المنكرة أمام جدافل الجيش الألماني بقيادة روميل وحقق النصر عليه، وبذلك قضى عبد الناصر على كل مراكز القوى التي تشل يده تماما وتمنعه من معرفة حقيقة مايدور في سائر أجهزة الدولة، وجمع كل الخيوط في يده بعد أن طهر تلك الإجهزة من سائر أعوان القيادة العسكرية السابقة، وتفرغ بذلك تماماً لأعادة تسليح الجيش وإعادة ثقته بنفسه وبقدرته على إزالة كل آثار العدون والقيام بحرب شاملة ضد إسرائيل يمسح بها عار هزيمته الشنيعة، كل ذلك أشعر إسرائيل بأنها لم تحقق أهدافها السياسية والعسكرية بتدمير القوات المسلحة المصرية تدميراً شاملاً. حيث لم يتخل الشعب عن عبد الناصر. بل تمسك بقيادته ليعيد الأمور إلى ما كانت عليه قبل الهزيمة، وهي التي كانت تعتقد أن تدميرها للقوات المسلحة المصرية سينهي الناصرية ويغير النظام في مصر، وينهي تعتقد أن تدميرها للقوات المسلحة المصرية سينهي الناصرية ويغير النظام في مصر، وينهي الصراع العربي، الإسرائيلي إلى الأبد، وهنا أدركت إسرائيل أن الخطر الحقيقي الذي يتهددها لايكمن في تدمير الجيش المصري بقدر ما يكمن في النظام الناصري فاقبهت يتهددها لايكمن في كتاب «تحطيم الآلهة \_ قصة حرب يونيو ١٩٦٧) للمؤرخ المحقق للصراع الحورة المورخ المحقق

الدكتور عبد العظيم رمضان الذى استنبط هذا الأتجاه فى تفكير إسرائيل من واقع ما جاء على لسان قادتها خلال حرب الاستنتاف. ومنها ما جاء على لسان واحد منهم كان قد قاد حرب المعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وهو موشى ديان الذى جاء فى واحد من أحاديث الصحفية قوله: «ليس هناك خطر يمكن أن يوقف إسرائيل عن التوغل داخل مصر طالما كان بوسعها ذلك وإلى أبعد عمق نستطيع. فالدفاع عن عمق على هيبة مصر كما كنت من قبل، فقد اهتزت شرعيته السياسية وثبت فشل تنظيماته السياسية والعسكرية. فلم يعد يحظى منهم يثقتهم المطلقة فى قدرته على اجتياز تلك المحنة، ولم يعد الزعيم الذى كان يقلق الغرب وإسرائيل معاً. وإنما أصبح الزعيم الذى فقد بريقه ومجده، ويحاول أن يستعيد هذا البريق وذلك المجد وهو يفترب من خريف العمر وفى احرج فترة يمر بها. فلا الظروف يمكن أن تساعده، ولا الصحة يمكن أن تعاونة.

ونحن العرب تعودنا من قادتنا على مدى أجيال طويلة من الزمان إلا يصحوا ويفيقوا إلا إذا حلت بهم الازمات وطحنتهم المحن والهزائم، وفي أوقات تخلى شعوبهم عنهم يتلكأون في شد أزرهم ويتباطأون في مد طوق النجاه إليهم - كما تعودنا في حال قوتهم لا يستخدمونها لتحسين حال شعوبهم وإنما يستخدمونها في إحكام قبضة الدكتاتورية عليهم وكتم انفاسهم، وربما إذلالهم والتباهي بقوتهم في تخويف بعضهم والعدوان على بعضهم البعض، ويعطون بذلك الفرصة لبشب عليهم أعداؤهم الذين يذيقونهم العسف والهوان عدوا والإذلال. حدث ذلك مع عبد الناصر ومع من سبقوه من القادة في مختلف البلاد العربية، ومن جاءوا بعده، والمظلوم الرحيد هم شعوبهم، وهم المخطئون أيضاً فهم الذين يمدون لهم الحبل على الغارب ويشجعون هؤلاء القادة على التمادي في الاخطاء وارتكاب أفظع الجرائم في حقهم، صورة قائمة مأساوية انفرد بها العرب دون سائر شعوب العالم، وقد تكررت الصورة في شخص صدام حسين بعد عبد الناصر. فقد هدد إسرائيل بقوته كما فعل عبد الناصر، ولكنه فاجانا باستخدام هذه القوة في العدوان على أشقائه العرب، ولم يستخدمها ضد إسرائيل ولو استخدمها في مكانها المسحيح لكان حالنا غير الحال المتردي الذي نحن فيه.

#### إسرائيل تكون في سماء القاهرة

ثم قال إن الأهداف السياسية من غارات العمق هى المحافظة على معنويات الشعب الإسرائيلي وتقويض الزعامة السياسية والعسكرية في مصر، أما الأهداف العسكرية فهى منع مصر من بدء حرب شاملة أخرى، وتمكن الـقوات الإسرائيلية من الصمود على طول جبهة المقناة.

جاءت تصريحات ديان هذه في شهر يناير ١٩٧٠ أي بعد مرور حوالي ثلاث سنوات وسبعة شهور على انتصار إسرائيل العسكرى الساحق على القوات المصرية وتدمير معداتها وروحها المعنوية. قامت خلالها اسرائيل باستبدال تفوق طيرانها وانفتاح سماء مصر أمامه بعمليات جريئة على طول جبهة القناة أثبتت بها أوجه الخلل والعجز في النظام الدفاعي المصرى لإثارة الشعب المضرى على قيادته ليثور ويسقطها، وهي لم تسقط في أعقاب هزيمة يونيو كما كانت تتخيل وتحلم، وإنما فوجئت بأن نظام الدفاع المصرى رغم خلله وعجزه وتخلفه في المعدات قد بادلها الهجمات وأحدث لها بعض الحسائر، ولما فشلت هذه العمليات في تحقيق أهداف إسرائيل في إسقاط النظام وتهييج الشعب عليه، وإنما زادت من تصميم القيادة العسكية المصرية على المضى قدماً في الحرب بتأييد من غالبية الشعب.

وتصريحات ديان هذه صدرت بعد أن قامت اسرائيل بغارات جوية في عمق الأراضي المصرية في التل الكبير وفي مناطق مختلفة في الوجه البحرى والقاهرة والإسكندرية وامتدت هذه الغارات إلى بعض الأهداف المدنية، وراح ضحيتها آلاف المدنيين العزل، واعتذرت المقيادة الإسرائيلية عنها بادعاء أنها وقعت بطريق الخطأ، وعجز معداتها عن تحديد الهدف، ولكن الحقيقة أنها قصدت بإضارتها على الأهداف المدنية إصابة الشعب المصرى بحالة من الياس والإحباط ليتخلص من عبد الناصر ويسقطه وهو الذي لم تسقطه هزيمة يونيو، ولكن الشعب المصرى بحضارته العريقة وأصالته لم يتخل عن عبد الناصر. بالرغم من قناعته أنه بعد الهزيمة لم يعد الزعيم القوى الذي كان كالأسد عندما يزار بدخل كل الحيوانات في أقلقاصها خوفاً منه، ولم يعد الزعيم القوى القادر على الحفاظ على مصر.

# احتوى عبد الناصر تردد الروس والصراع العربى ولم يفقد اعصابه لحظة - . إلى أن خرج من المحنة

بوصول المدد العسكرى الروسى وانتهاء مصر من بناء حائط الصواريخ تغير ميزان القوى غاماً، واضطرت إسرائيل إلى تغيير استراتيجيتها بعدما نجح عبد الناصر في حملية الجبهة الداخلية والجبهة العسكرية من الانهيار، وأصبحت إسرائيل لاتستطيع اختراق عمق مصر بطائراتها الفانتوم. عندئذ عرفت إسرائيل أن المصريين عبروا الهنزيمة وقرروا الدخول في معركة ثار اليوم أو غدا وأن أملها ومعها الامريكان والغرب. في أن هزيمة يونيو ستنهى الناصرية والنزاع العربي - الإسرائيلي هو مجرد سراب الاوجود له. وتوقف الإعلام الإسرائيلي والغربي عن تصوير القوات المسلحة الإسرائيلية بالأسطورة التي الاتقهر، وأن الديها ترسافة عسكرية يصعب تحطيمها أو التغلب عليها. الانها تملك الذراع الطويلة التي تمتد في لحظة أو لحظات إلى أعمق الأعماق إلى القاهرة والأسكندرية والصعيد. إلى دمشق وعمان تدمر وتخرب، وأنه لم يصبح أمام العرب سبوى التسليم بلا شروط للمطامع وعمان تدمر وتخرب، وأنه لم يصبح أمام العرب سبوى التسليم بلا شروط للمطامع الإسرائيلية. الأنهم هزموا في الحرب الاخيرة على طريق الصراع الطويل، والأن إسرائيل تملك العلم والتكنولوجيا والحضارة، والعرب يملكون التخلف والجهل والفقر والمرض، ثملك العرب - سبقطوا في بثر الاقرار له، وهيهات هيهات أن يخرجوا من ظلمته ليروا النور من جديد.

هذا التغيير المفاجئ في ميزان القرى الذي أحدثه عبد الناصر بعد جهد خارق على المستوى الداخلي والخارجي. تحمل خلاله تردد الروس وضياعهم وتلكاهم في تحديث سلاح القوات المصرية وصراع العرب اللين ينتمون للروس، والعرب الذي ينتمون إلى الأمريكان. إلى أن استطاع الاستفادة من قدرة الاثنين معا لتخفيف حدة هزيمته من الناحية العسكرية والناحية السياسية. . بدأت إسرائيل تحصن مواقعها على الجبهة المصرية تحسبا للمعركة القادمة فشيدت خط بارليف الحصين الذي قال عنه موشى ديان ساخراً وقيادة إسرائيل تناقش احتمال قيام المصريين بالهجوم عبسر القناة - «إنه يلزم تدعيمها بسلاحي المهندسين الروس والامريكان معا». وقيل عنه أن تحطيمه يتطلب استخدام عدد من القنابل اللذرية، ولم تكتف إسرائيل بخط بارليف الحصين. بل جعلت من قناة السويس سدا منيعاً

في وجه القــوات المصرية إذا ما أرادت الهجــوم عليها بما أضافتــه إليها من موانع صـــناعية كثيرة. إضافة إلى أن أمريكا . بحكم العلاقات الاستراتيجية التي تربطها بإسرائيل . فتحت لها ترساناتها العسكرية وزودتها بأدق تطورات صناعة السلاح، ولم تحبب عنها أي سر عسكري مهما كانت خطورته وقوته، وعلى الجانب الآخر ـ فرغم أن الاتحاد السوفيتي لم يتعامل مع عبد الناصر بنفس تعامل أمريكا مع إسرائيل من الناحية العسكرية إلا أنه استطاع عن طريق إثارة حفيظته بالمخاطر الجسيمة المترتبة على سقوط مصر في أيدى الهسيمنة الامريكية ـ استطاع أن يحصل منه على أكبر قدر من السلاح والتكنولوجيا المستحدثة تعطى للقوات السلحة المصرية القدرة على مجاراة إسرائيل في سباق التسلح القائم بينهما. تحسباً للمعركة القادمة. ولو أنه لم يصل إلى حجم السلاح الذي حصلت عليه إسرائيل من ترسانــة أمريكا العســكرية. على أية حال اســتطاع عبد الــناصر أن يوقف غرور إســراثيل وتباهيها بقواتها المسلحة وقدرتها العسكرية الفائقة، وأن هزيمة يونيو ليست آخر المطاف في الصراع العربي ـ الإسرائيلي كـما تخيلت. وأن حلمها بالاستيلاء على الأراضي العربية بالقوة قد تبدد نهائياً وألا حل لهذا الصراع سوى البحث عن تسوية عادلة وشاملة تعطى كل الأطراف المتنازعة كافة حقوقهما المشروعة دون جور طرف على حقوق الطرف الأخر، ولذلك مسرت الشهور بسعد شسهسر يناير في عسام ١٩٧٠ دون إزعساج ـ اللهم إلا بعض الاحتكاكات المحدودة على الجسبهة \_ وبعض التصريحات المثيرة من الجسانيين التي لاتتعدى . مرحلة الكلام، والتي لم تدخل في حيز السنفية، وصاحب ذلك أمر أرعج إسرائيل وأقلقها، وهو التغيير الجديد في السياسة السعربية برمتها. عسكرية كانت أم اقتصادية، وأن مصر هي صاحبة وراثدة هذا التحول كله كما كانت من قبل الهزيمة المبادرة دائماً في يدها دون تبعيه تتحكم في مصيرها ومصير أمتها العربية بوحي من نفِسها، وتواجه أخطر المواقف باقتدار وحزم ومن ورائها أمة عربية كانها خلقت من جديد تحسن استخدام ثرواتها البشرية ومَفاتيح ضغطها المتعددة لتحريك القضية عالميا. نفذت بها إلى مواقع كان لايمكن أن تنفذ إليها، وتحاور أمريكا والغرب وعقل إسرائيل بلغـه غير اللغة التي كانت تستخدمها من قبل وتثير حفيظتها، ولكن بحلول شهر سبتمبر \_ أيلول \_ من عام ١٩٧٠ نفسه حملت الأحداث موقفاً ماساوياً لطخ هذه الصورة الجميلة وكان على عبد الناصر مسئولية المحافظة عليها حستى ينهى كل آثار هزيمة يونيو. هذا الموقف المأساوي المفساجئ هو مذبحة أيلول ـ

كما سميت سبتمبر في الأردن ـ ضد المقاومة الفلسطينية لمنبع تواجدها على الأراضي الأردنية، وهي كانت واحدا من الأسلحة التي يستخدمها عبد الناصر للضغط على إسرائيل وتدخل العديد من الدول العربية لدى القيادة الأردنية والقيادة الفلسطينية لإنهاء هذه المذبحة، ولكنهم فشلوا تماماً ولاح في الأفق آحساس أن العالم العربي مقدم على عهد من الأنقسام والخلاف والتناحر المستفيد الوحيد منه إسرائيل، ولكن عبد الناصر استطاع أن يحتسوى الخطر الجديد، وبمسعاه تم الأتفاق على عقد مؤتمر قسمة عربى في القساهرة لم يتخلف عن حضوره أحد. بهدف التوصل إلى اتفاق بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية وعقد المؤتر في فيندق هيلتون القاهرة وكان محمد حسنين هيكل وزير إعلام مصر الذي أدار هذا المؤتمر إعلاميا، وأشهد أنه أدارة بحنكة وقدرة وخبرة فاثقة بحيث لم يخرج منه نبأ آثار جدلاً على الجانب العربي ولا على الجانب الدولي ـ رغم ماحفل به المؤتمر من خلاف وانقسام استخدمت فيه أنواع من الألفاظ النابية والجارحة لم يسبق أن استخدمت بين ملوك وزعماء وقادة من قبل. وكسان المؤتمر ساحة لمواجهات عربية صاخبيه يسبب رواسب قديمة لم يستطع الزمن تبديدها، ويسبب خلافات أساسية بين نظم الحكم القائمة، ومنها تلك التي حدثت بين الملك حسين وياسر عرفات وبين الملك فيصل ومعمر القذافي، ولكن عبد الناصر استطاع أن يلم الشمل عندما بين للمتناحرين والمختلفين حول مسائل صغيرة يمكن تفاديها والتفرغ لمواجهة الموقف الدقيق والصعب الذي تجتازه أمتهم العربية الذي ينتظر أعداؤها مثل هذه الخلافات ليوجهوا لها ضربة قاصمة أعنف بكثير من ضربة يونيو التي لم نتخلص من آثارها بعد، واستجاب الجميع لجمال عبد الناصر، وانتهى المؤتمر على خير وصدر عنه اتفاق القاهرة الذي وقعه الجميع، والذي وضع حداً لمذبحة رهيبة لم ترتكب مثلها إسرائيل ضد الفلسطينيين حتى هذا التماريخ، وأعطت الفرصة لإعملام إسرائيل أن يظهر للعالم أنها ليست الخطر على العرب كما يدعون، وإنما الخطر كل الخطر يكمن في العرب أنفسهم \_ دعاة الحرب والإرهاب والتطرف \_ وأنها في حاجة لمن يحميها منهم. هكذا استطاع عبــد الناصر وهو في قــمــة المحنة والخطر المحدق به من كل الاتجــاهات ــ استطاع أن يضع حدا لتلك المذبحة الرهيبة التي كادت أن تؤدى بالأمة العربية إلى غير راجعة وهي سمة الزعماء الذين لايجود بهم الزمن إلا نادراً.

# لماذا فكر عبد الناصر في فتح الحوار مع المريكا لحل مشكلة الشرق الاوسط؟

عاش عبد الناصر أحداث عام ۱۹۷۰ بحلوها ومرها، صادف فيها أياماً مجيدة وأخرى حزينة، عاش انتصارات اشرأبت بها الآمال إلى عنان السماء جددت إليه الأمل والرجاء فى أن يعود إلى سابق مجده كما كان قبل نكسة يونيو بمسكاً بزمام الأمور لايطاوله أحد، يتخذ مايحلو له من قرارات وإجراءات دون أية معارضة، وإنما يحظى بالتأييد والتصفيق الذى كان يحظى به دائماً كزعيم هز أركان الاستعبمار وزلزل الأرض التى يقيم عليها، وعاش عبد الناصر في عام ۱۹۷۰ انتكاسات بلغ فيها القنوط والياس إلى أقصى الحدود تبخرت معها كل آماله العريضة في الحروج من أزمة النكسة وأحاط به الفشل وأزعجة وأرهبه على كافة المستويات. داخلية كانت أو خارجية.

لقد كان عام ١٩٧٠ بالنسبة لمصر والعرب وعبد الناصر مشحونا ساحناً. فيه دارت حرب الاستنزاف والردع للعدو الإسرائيلي كما لم تدر من قبل طوال حقبة السنوات الثلاث بعد النكسة، وفيه وصلت علاقات عبد الناصر بالاتحادالسوفيتي إلى درجة من السوء لم تصل إليها هذه العلاقات من قبل بسبب عاطلة الروس ومراوغاتهم في مد عبد الناصر بما يحتاجه من الاسلحة الهجومية، وحتى الاسلحة الدفاصية لم يرسلوها إليه دفعة واحدة وسماء القاهرة مفتوحة للغدر الصهيوني تضرب طائراته وصواريخه المناطق العسكرية والمدنية على السواء في كل أنحاء مصر دون أن تجد أية مقاومة، وفيه اضطر عبد الناصر أمام هذا الخطر الداهم أن يفتح حواراً مع الولايات المتحدة لحل أزمة الشرق الاوسط سلميا متخليا عن المبدأ الذي كان ينادي به في أعقاب النكسة الذي يقول: لاما أخذ بالقوة لابد أن يسترد بالقوة؛ بدءا بخطابه الشهير الذي وجهه إلى الرئيس الامريكي في هذا الوقت نيكسون، وكان ذلك في أول مايو من العام نفسه، وفيما بعد قبل مبادرة روجرز السلمية وهو يتباحث مع الزعماء السوفييت في الكرملين. كاظماً غيظه منهم روجرز السلمية وهو يتباحث مع الزعماء السوفييت في الكرملين. كاظماً غيظه منهم وكنت معه عثلا لملإذاعة وحرمتنا صحف وإذاعة وتليف زيون ووكالات أنباء السلطات

السوفييتية من حضور هذه اللحظات التــاريخية، وحرمت المصورين أيضاً من التقاط صور هذا اللقاء واكتفت بتوزيع صورة واحدة له ثابتة غمير نابضه يتعبيرات هذا اللقاء على وجوه المتفاوضين والمتباحثين مع نبأ مختصر جداً لم تذكر فيه المواضيع التي بحثت ولا الخلافات التي وقبعت، ولكننا استطعنا كمنبدوبين للصحف والإذاعية والوكبالات الحصول على تفاصيل مادار فيما بعد. وعدنا إلى القاهرة. وأذكر أن عبد الناصر كان متجهما جداً باديا على وجهه القلق والخوف من المستقبل لامستقبله هو كزعيم مرموق، وإنما مستقبل مصر والمنطقة برمتها وماينتظرها من مفاجآت. ولكن عبد الناصر كعادته في مواجهة تلك المواقف الصعبة والدقيقة سرعان ما نفض عن نفسه الخوف والقلق واستعاد حيويته ومقدرته وبدأ يعد لتحاوز الازمة ورأى في لحظة حتمية مصارحة الشعب بكل مادار على مائدة المباحثات وخلف الكواليس. وكانت الفرصة أمامه متاحة تماماً. فقلد كان مؤتمر الاتحاد الاشتراكي السنوي منعقداً في قاعة الاحتفالات الكبرى بجابِعة القاهرة، وذهب على الفور إلى هناك ليلتقى بالمجتمعين من الأعضاء وألقى كلمة انفعالية بما حدث، وأخذ يلف ويدور فيها عن كيفية إحاطة المؤتمر العام للاتحاد الأشتراكي بما حدث، وأذكر ـ وكنت موجوداً في القاعة \_ أن عبيد الناصر عندما أعلن موافقت على مبادرة روجرز لم يظفر بالتصفيق والتأييد الذي تعود عليه وإنما انطلق تصفيق منقطع في جنبات القاعة على استحياء تام. فقد كانت النفوس معبأة تماما ضد الولايات المتحدة الأمريكية لمساندتها وانحيازها التــام إلى جانب إسرائيل ومباركــتها لعدوان إسرائيــل على الأراضي العربية. . تمدها بالسلاح والمال لقتل أرواح عربسة بريئة ـ كل الذنب الـذي اقترف هو دفاعـها عن أرضها والدود عن حياض وطنها.

على أن السؤال الذى تردد بقوة وإلحاح فى ذلك الحين كان هل عبد الناصر كان يتوقع هذا الموقف غير المؤيد لموافقته على مبادرة روجرز، بالطبع كانت الإجابة عليه بالإيجاب. فقد كانت كل أجهزة الدولة مسخره لخدمة الروس والتعاون معهم. لأنهم كانوا يقفون فى دائرة معارضة كل أفعال إسرائيل القمعية فى الأراضى العربية المحتلة ويطالبون بجلائها عن هذا الأراضى والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى إقامة دولتهم المستقلة على أراضيهم المحتلة. كما كانوا يطالبون بجلاء إسرائيل عن الجولان السورية كذلك. بل إن

القيادة السوفيتية أعلنت أنها لن تعيد علاقاتها بإسرائيل التى قطعتها بسبب عدوانها على العرب إلا إذا جلت عن الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع عزة والجولان السورية ، ولم يدرك أعضاء المؤتمر العام للأتحاد الأشتراكى أن موقف الروس إبان المنتكسة لم يكن على مستوى هذا الحدث الكبير بسبب مفاجأة عبد الناصر لهم دون أن يمهد لهم أو يذكر لهم أسباب موافقته على مبادرة روجرز. كما أن المفاجأة أربكتهم وجعلتهم لايستطيعون تبين المسلك الذى ينبغى أن يسلكوه فى ظل تغيير الموقف على هذه الصورة ، ولو أنهم فيما بعد أيدوا عبد الناصر وآزروه فى مسعاه لحل النزاع العربى - الإسرائيلي بالمطرق السلمية وتخلوا عن تأييدهم للروس وخففوا من غضبتهم على الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما نجح عبد الناصر في نزع فتيل الخيلاف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي تخلف عن مذبحة أيلول «سبتمبر» لمنع تواجد المقاومة الفلسطينية على الأراضى الأردنية أيدته الجبهة الداخلية والدول العربية وناصروه في مسعاه السلمي وأيدوه في اعستقاده بأنه ليس هناك محظور في العمل السياسي إلا الاستسلام، وأن أي عمل عسكرى لابد أن يكون له غطاء بعمل سياسي يقنع العالم بأن مصر فعلت كل شئ من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والأتصالات الدولية. ولكي يكون هذا الحل مرضياً ومستجيباً للحق والعدل ينبغي أن يشعر العالم بأن النكسة وإن هزت الوحد العربية وأصابت الجبهة الداخلية بتصدع إلى حين فإن الوحدة العربية والجبهة الداخلية قد عادت إلى تماسكها، وغدت جسرا صلبا تتكسر على ضفافه كل محاولات إسرائيل الاستمرار في احتلال الأراضي العربية وإنكار حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

ولابد أن نسجل لعبد الناصر هنا أنه في كل مباحثاته مع العرب ومع الروس والأمريكان في أعقباب نكسة يونيو كان لاينكر أهمية السعى للحل السلمى للخروج من الأزمة رغم تشاؤمه من الفرص المتاحة له بعد أن نجحت إسرائيل وحلفاؤها من الغرب في احراز هذا النصر الكبير في الحرب، وأنهم لن يقبلوا أي حل سلمى إلا إذا كان هذا الحل استسلاماً كاملاً لمطالبها. كما إن هذا النصر أحسن فرصة متاحة للغرب لإخراج الروس

من منطقة الشرق الأوسط. وإنه - أى عبد الناصر إذا كان قد أعاد تسليح جيشه وأعاد للجبهة الداخلية صمودها فإنما فعل كل هذا ليكون عامل ضغط للوصول إلى أفضل الحلول السلمية للنزاع العربى - الإسراذيلي وللقيضية الفلسطينية جوهر النزاع ولبه، ولينبت به للعالم أن قضية الشرق الأوسط لايمكن أن تكون ميداناً للمناورات، والمراوغات والتأجيل، وأنه ينبغي ألا ينظر إلى استعداداته على أنها استعداد لشن الحرب من جديد إذ إن الإصرار على العمل العسكرى - في وجود حل سلمي مشرف - يصبح نوعاً من الحماقيه يصعب تبريره أمام شعبه وأمام العالم. فهو كرجل عسكرى يعرف أكثر من غيره أهوال الحروب ومآسيها ويعرف أن اللجوء إليها لايحدث إلا إذا سدت جميع الطرق للوصول إلى تسوية مرضية للنزاع لدى كافية الأطراف، أي أن النكسة وماتلاها من أحداث صفلت فكره وغيرت من خططه. بحيث أصبحت متوازنة لاتطرف فيها ولاتحد، وإنما الرغبة في التوصل الى حلول بأقل الخسائر في الأرواح وغيرها.

## الوثائق تؤكد: عبد الناصر أول من فاوض للسلام ومخطئ من يظن أن عبد الناصر كان داعية حرب

لم يكن عبد الناصر داعية حرب كما يحاول البعض تصويره على هذا النحو دون الغرص فى التحليل المتكامل للأحداث التى تتابعت على عبد الناصر وثورته وأهدافها ومراميها الحقيقية العاجلة والإجلة وأسبابها ودوافعها ليعرفوا لماذا حارب إسرائيل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهل هو الذى بدأ بهذه الحرب أم كانت مفروضة عليه بهدف إذلاله وتقليم أضافره وفى النهاية الخلاص منه؟

ولو كلفوا أنفسهم عناء البحث وجهد التنقيب عن الحقيقيـة لتبين لهم أن هذه الحرب دبر لها جهات خارجية هالها وأزعجها ما أحدثته ثورته من تحرير للشعوب من سيطرة الاستعمار والتحكم في ثرواتها الطبيعية والاستفادة من جمسيع العائد منها، ودليلنا على مانقوله أن إسسرائيل لم تحارب عبد الناصر وحدها. ففي عام ١٩٥٦ اشترك معها انجلترا وفرنسا وهما كانا دولتسين مستعمرتين لمعظم الشعوب والدول التسي حررها عبد الناصر في أفريقيا وآسيا ومنطقة الشرق الأوسط، وفي عام ١٩٦٧ شاركت من وراء ستار مع إسرائيل في حربها لعبد الناصر إنجلترا وفرنسا، وانضم إلى المؤامرة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي اللذان كانا أمام العالم أعداء. وهم في الحقيقة بمحكم العلاقمة العدائية الظاهرة بينهما خط أحمر لايمكن تجاوزه. هذا الخط معروف لهم دون سائر دول العالم، وتأسيسا على ذلك يخطئ من يظن أن هزيمة يونيو التي أرغمت عبد الناصر على فتح الحوار مع أمريكا لحل مشكلة الشرق الأوسط، وأنها كانت السبب في توجيه عبد الناصر لخطابه الشهيسر الذي وجهه إلى الرئيس الأمريكي ريتـشارد نيكسون وقبــوله لمبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية وقتذاك، وساتخدامه للعرب الأمريكان والعرب السوفيت لممارسة الضغط على كل من أمريكا وروسيا بوصفهما القوتان العظميان اللذان كانا يملكان سلطة التحكم في مصير العالم. وإنما الذي دفع عبد الناصر لسلوك هذا المسلك هو طبيعة العلاقات التحتية القائمة بينهما. وأن هدفه الرغبة في تحقيق هدفه في إقامة سلام يحفظ للعرب والفلسطينيين كافعة حقوقهم بأقل الخسائر في الأرواح والمعدات. حيث إن طبيعته ضد الحرب كوسيلة للحصول على هذا الهدف وإنما يلجعاً إليها عندما تسد أمامه سائر الطرق لتحقيق الهدف الذي قاد ثورته، وضحى بحياته وحياة ضباط الثورة من أجله.

ولو تتبعنا حياة عبد الناصر منذ أن كان طالباً في الكلية الحربية وبعد تخرجه وانخراطه في سلك القوات المسلحة والمهام التي أوكلت إليه في حرب فلسطين التي استهل بها حياته، والأسلحة الفاسدة وقصتها التأمرية على الجيش والشعب معا، والتي كانت السبب المباشر للتعليل بقيام ثورته الذي بذر بذورها وخطط لها في ميدان المعركة على ضوء ما شاهده من خيانات عربية وغير عربية من ملوك ورؤساء كانوا أدوات طبعة في أيدي أعداء أمته العربية والإسلامية والتي صاغت فكره السياسي فيما بعد بساطة شديدة وتلقائية لامثيل لها لقطع الطريق على حدوث مثل هذه الخيانات في المستقبل عندما أعلن في كتابه «البحث عن الذات» أن محور تفكيره هو العمل في نطاق دوائر ثلاثة. الدائرة العربية والدائرة الإسلامية، ودائرة دول عدم الإنحياز.

وإننى أعترف منذ أن ساقنى القدر لأن أكون قريباً من عبد الناصر كمندوب للإذاعة فى مجلس الشورة الذى كنت مشغولا بدراسة شخصيته الفريدة المذهلة المليئة بالثورة على الاوضاع الفاسدة ماضيها وحاضرها لتبقييمها وتشريحها لمعرفة حقيقة واحدة. هل هذه الشخصية دموية أم أنها شخصية مصرية تكره العنف وتجنع للسلام؟ وآليت على نفسى أن أجمع كل الحقائق من فائض ما نشر عنه فى أمهات الكتب والصحف العربية والأجنبية بعد أن ساقنى القدر فيما بعد بحكم مهتسى مأن أكون ملما بكل التفاصيل الدقيقة التى تضمنتها تلك الكتب والصحف، وأيضاً وكالات الأنباء الاجنبية. العالمية والعربية والمحلية والإقليمية وقد سبقنى إلى ذلك كتاب أصدره زميل لم أشرف بمعرفته ولا الالتقاء به هو الكاتب الصحفى رشاد كامل بعنوان دعبد الناصر فى تل أبيب، الذى احتوى وثانق هامة لكل من يريد البحث عن فكر عبد الناصر السياسى من خلال جهوده وإنجازاته حول فكرة السلام بين العرب وإسرائيل. وهل كان مويدا للسلام أم داعية حرب وعنف؟ استنبط فيه

المؤلف أو جمع كل ما جاء عن القفية فيما يخص عبد الناصر في كل ما نشر من تحليل وتعليق وحقائق . سواء فيما نشر من تصريحات أو مذكرات أو كتب.

فماذا جاء في هذا الكتاب القيم الصادق. باختصار شديد من إحصاء لمشروعات التفاوض مع إسرائيل الذي تميز بالدقة والوضوح اللازمين لكل باحث عن الحقيقة المجردة عن الهوى والغرض؟ لقد جاء فيه أن هذه المشروعات بدأت كما يقول محمود رياض وزير الخارجية، والذي تولى فترة طويلة منصب الأمين العام للجامعة العربية منذ عام ١٩٦٩ ولم نكن اختراعا من نبات أفكار الرئيس الراحل أنور السادات، وجاء في مذكرات الرئيس الراحل محمد نجيب الذي يصر من كتبوا التاريخ على تجاهله. حيث أشار في بداية الثورة إلى دور عبد الناصر في هذا الأمر قائلا: «إن بعض الإسسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن عبد الناصر اللذي كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلة في حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة، وقد أكد أقوال نجيب ومحــمود رياض ما نقلته مجلة «التحرير» نقلا عن الصحافة العالمية عام ١٩٥٣ حول قيصة المحادثات السرية في النقب بين عبد الناصر أثناء حسرب فلسطين عسام ١٩٤٨ والقسائد الإسبرائيلي إيسجال اللون والتي يسرويها ضسابط المخابرات الإسسرائيلي كوهميني الذي التقي خمس عشمرة مرة بعبله الناصر أثمناء الحرب للتمه يد لمفاوضات السلام. كما أكد أقوال نجيب ومحمود رياض بما جماء في. مذكرات الأميرالاي السيد طه الذي كــان يطلق عليه الضبع الأسود إظهارا لشجاعــته وفدائيته ــ التي تؤكد أن بداية هذه المفاوضات كانت في عام ١٩٤٨ حيث مـثل ومعه جمال عـبد الناصر الجانب المصرى.

ويقول الكاتب الصحفى رشاد كامل فى كتابه إن محمد حسنين هيكل الذى كان أقرب المقربين لعبد الناصر أكد فى شهادته فى كتابه «زيارة جديدة للتاريخ» أن عالم الذرة البرث أينشتين قام بالوساطة بين مصر وإسرائيل فى مفاوضات السلام. كما أن هيكل ذكر فى كتب أخرى له أن أندرسون المبعوث الأمريكى والرئيس اليوغوسلافى تيتو الذى كانت تربطه بعبد الناصر صداقة حميمة، والسياسى الرومانى بترو بورناكو قد قاموا بالوساطة بين

عبد الناصر والإسرائيليين من أجل السلام، وأيضاً ما جاء في مذكرات ثروت عكاشة ـ التي سجلت وجهة نظر ناحوم جولدمان فيما يتصل بالسلام، والتي كان يعرفها عبد الناصر جيداً من صديقه وزميله ثروت عكاشة. إضافة إلى شهادة وليم بولك المبعوث الأمريكي إلى مصر أثناء حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ وإعداده مسودة اتفاق سلام بين مصر وإسرائيل وأن عبد الناصر تسلمها ووافق عليها بعد تعديلها.

كل هذه الشهادات والوثائق تؤكد جهود عبد الناصر من أجل السلام منذ عام ١٩٤٨ حتى وفاته، وتؤكد أيضاً حقيقة هامة هي أن الغرب وإسرائيل لم يفهموا عبد الناصر، ولو فهموه ما كانت تلك الحروب التي اشتعلت، وما كانت الأحداث اتخذت الشكل الذي اتخذته حتى يومناهذا.

## حضرت وفاة عبد الناصر... وأحداث الليلة الحزينة النبا الذي كان يريد سماعه قبل وفاته

لم يكن أحد يتخيل أن نهاية عبد الناصر العملاق ستنوافق مع نهاية اتفاق القاهرة الذى واحدة من أكبر المآسى العربية، وهى مذبحة أيلول (سبتمبسر) الأسود كما كان يطلق عليها. تلك المأساة التى لو لم يقدر لها تلك النهاية التى وضعها وصنفها وبوبها عبد الناصر فى اتفاق القاهرة لتبدل تاريخ الأمة العربية، وأصبحت مشردة محتلة من اسرائيل واليهود، وضاعت فلسطين وضاع معها العرب كامة وكحضارة وكتاريخ. . ففى اليوم التالى لترقيع اتفاق القاهرة وعبد الناصر يودع الزعماء العرب فى ميناء القاهرة الجوى فى نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ الذى كان آخرهم أمير دولة الكويت. شعر عبد الناصر بتعب مفاجئ استلزم عودته فى عربة الأسعاف المجهزة بكافة المستلزمات الطبية المعدة لمثل هذه الطوارئ، والتى كانت تلازم موكب عبد الناصر منذ أن أصيب بمرض القلب وداهمه السكر وتملك جسمه وأعاق نشاطه وتحركاته.

طيرت وكالات الأنباء الخبر مع تفاصيل مذهلة لمرض عبد الناصر ورحلات العلاج التى قام بها فى الاتحاد السوفييتى، ورأى الأطباء فى مستقبل حياة عبد الناصر. وبسبب التعتيم الإعلامى الذى كمان مفروضاً على إنباء صحته لم تشر صحفنا للنبأ إلا تلميحا ولذلك كان نبأ وفاة عبد الناصر مفاجأة مذهلة للشعب الذى كان يرى عبد الناصر قوى البنية صحيح البدن، ولايعرف خفايا صحته المعتلة. ومن هنا كثرت الأشاعات وتعددت حول وفاته فمن قاتل أنه مات مسموماً بمؤامرة محبوكة حتى لاينكشف الأمر، وأشارت أصابع الأتهام إلى مراكز القوى التى تخلص منها السادات فيما بعد. الذين ـ حسب ماتردد. كانوا يطمعون فى الاستيلاء على الحكم بتشجيع من الاتحاد السوفييتى. ومن قاتل أن عبد الناصر قتل والقاتل محبهول. ومن قائل أن الولأيات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والاتحاد السوفييتى قد تعاونوا معاً فى سيناريو التخلص من عبد الناصر الذى اتفقت مصالحهم السوفييتى قد تعاونوا معاً فى سيناريو التخلص من عبد الناصر الذى اتفقت مصالحهم جميعاً عليه. وكان لكل فريق حججه التى يؤكد بها صحة رأيه، ولكن لم يملك فريق

منهم وثيقة واحدة ترجح هذا الرأى وتؤكده دون غيره. المهم أن أحدا من الشعب لم يصدق أن عبد الناصر فارق الحياة كغيره من البشر العاديين، ولم تكن هناك مؤامرة عليه من هذا أو ذلك، وكان هذا هو الأمر الغريب وللشعب عنره في ذلك فقد مرض عبد الناصر وهو لايعلم شأنه شأن العدد من المواقف والمعلومات التي لم يزود بحقيقتها، فكانت غالباً ما تصل إليه مشوهة أو مبتورة أو في ثوب إشاعات يجوز عليها التكذيب أو التصديق. وعليه فإن وفاة عبد الناصر ستظل لغزا إلى أن ينكشف سره بالوثائق التي لاتكذب والأدلة القاطعة غير المشكوك في صحتها أو صدقها شأنها شأن ماحدث من قبل في وفاة المشير عبد الحكيم عامر التي لم يعرف سرها حتى الأن. . . . هل هي انتحار أو قتل أو غير ذلك؟، وشهائها شأن ماحدث من بعد في اغتيال السادات، وعما إذا كان اغتياله قد تم بمؤامرة شارك فيها مصريون بدافع من جهات أجنبيه وتحريض منها. فلم يحدث أن قتل رئيس مصرى وسط قواته المسلحة كما قتل السادات.

المهم أن عربة الأسعاف نقلت عبد الناصر إلى منزله، وكنا معه ندعو الله أن يشمله برعايته ويشفيه من مرضه، وعدنا نحن مندوبى الصحف والإذاعة ووكالات الأنباء إلى منازلنا ولم نهدا من متابعة تفاصيل مرضه، ولكننا أيضاً لم نحصل على الحقيقة، إلى أن منازلنا ولم نهدا من متابعة تفاصيل مرضه، ولكننا أيضاً لم نحصل على الحقيقة، إلى أن قصر التليفون في منزلى في مساء يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وكان المتحدث من قصر القبة يستدعيني على عجل، وطوال الطريق من الجيزة. حيث موطن إقامتي وحتى القصر الجمهوري بالقبة كانت الخواطر تتزاحم على ذهني. حيث كان الراديو والتليفزيون قد بدأ كل منهما يذيع آيات من القرآن الكريم دون إعلان أي نبأ أو النبأ الذي استدعى إذاعة القرآن الكريم في كافة قنوات التليفزيون، وعلى سائر موجات الإذاعة باستمرار مع المغاء كافة البراج المعلن عن إذاعتها، لم يعرف أحد من الشعب سبب إذاعة هذا القرآن. البعض منهم توقع أو أشاع أن شيخ الجامع الأزهر هو الذي توفي والبعض الآخر توقع وفاة أحد الزعماء العرب. ولكن أحداً منهم لم يفطن إلى أن المتوفى هو عبد الناصر، وأن إذاعة النبأ تأخر إلى حين الإعداد الجيد لشئون عديدة في الدولة حتى لاتقع أحداث تؤثر على أمن واستقرار البلد، وطوال الطريق كنت اتفرس وجوه الناس في إشارات المروت المروت المرات المروت المرات المروت الناس في إشارات المروت المرات المروت المرات المروت المرات المرات المروت الناس في إشارات المروت المرات المروت الناس في إشارات المروت المرات المروت المرات المروت الناس في إشارات المروت المرات المروت المرات المروت المرات الم

عندما تتوقف العربة المقلة لى بها، وكنت ألمح فيها التجهم الشديد والحزن والآسى .. رغم عدم معرفتهم عن أسباب إذاعة القرآن الكريم فى الإذاعة والتليفزيون. حتى أنا نفسى لم أتوقع وفاة عبد الناصر. فكثيرا ما ألم به تعب مماثل وشفى وعاد إلى مزاولة عمله بنشاط عجييب، وكنت أتوقع أن يكون التعب الذى ألم به والذى شاهدته قد زال وغدا سيستأنف نشاطه.

ولدى وصولى إلى قصر القبة تأكدت أن الكارثة قيد وقعت، وأن عبد الناصر قد فارق الحياة، فقد شاهدت الأعلام فوق القيصر منكسة والحزن والأسى بادياً على كل من التقيت بهم فى القيصر، وأنا أجاوز البوابة المسموح لنا بالدخول منها إلى القصر، وعلى بعد خطوات منها ارتمى على محمود الجيار وهو يسجهش بالبكاء وقال لى إن عبد الناصر قد مات وجسمانه مسجى فى ثلاجة القصر، كان الرجل فى حالة يرثى لها. فقد فارقه رفيق حياته وولى نعمته، فلم أتمالك نفسى، وتبادلنا سويا البكاء فقد كان عبد الناصر بالنسبة لى بصرف النظر عن كونه رئيسا للجمهورية \_ قلد غمرنى بعطف فاق عطف أبى وأمى، ووقف بجانبى فى مواقف مأساوية تعرضت لظلم بين فيها، وأنا مهيض الجناح لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعاً، وكان عبد الناصر هو الذى يعطينى حقى ويدفع الظلم عنى أمام الذئاب التى كانت تريد افتراسى، ولديهم كل القدرة على تنفيذ مآربهم الخسيسة، ولكن عبد الناصر حمانى من غدرهم الذى لم يكن له داع أو سبب، لكل هذه الأسباب وأسباب أخرى أخرى أتحرج أن أذكرها هدنى نبأ وفاة عبد الناصر كما هد الملايين من شعبنا الأصيل الوفى.

وفى الطريق الطويل من بوابة القصر إلى غرفة الصحافة الذى كان مفروضاً علينا أن نقطعه مشياً على الأقدام بسبب دواعى الأمن تمالكت نفسى ونفضت الحزن الذى تملكنى من مفرق رأسى إلى أخمص قدمى، وتفرغت لعنملى لاوافى الإذاعة بتفاصيل تلك الليلة الحزينة، وعرفت أن اجتماعاً مشتركاً معقوداً فى قاعة الاجتماعات فى الدور الأول من القصر. يشهده الوزراء وأعضاء مجلس الرئاسة الذين كانوا أعضاء مجلس ثورة يوليو من

قبل. أو كل من بقى منهم على قيد الحياة، أو من بقى منهم في ذمة الحكم، وعرفت أن عبد الناصر كان قد فاق من غيبوبته واستمع إلى نشرة الساعة الخامسة في الإذاعة، وكان تعليق أن النشرة لم تتضمن النبأ الذي كنت أود الاستماع إليه وحاولنا جاهدين نحن مندوبي الصحف والإذاعة والوكالات معرفة النبأ على وجه اليقين، ولكننا لم نتوصل إليه فقــد فارق عبد الناصــر الحياة دون أن يفــصح عن هذا النبأ وسيظل هو الأمــر سراً إلى أن تكشفه الوثائق والمستندات أو يكشفه الذين لازموا عبد الناصر فترة مرضه. وقال البعض منا أن عبد الناصر كان يريد أن يسمع أن السلطة انتقلت إلى زكريا محيى الدين، وحجة الذين قالوا ذلك أن عبد الناصر توفي وهناك عدد من النواب له أقدمهم زكريا محيى الدين الذي كان قد قدم استقالته. ولكن رجال القانون أفتوا بأن من حقه أن يتولى المسئولية بعد عبد الناصر. فاستقالته لم تقبل، ولكنه لم يكن متواجداً في الاجتماع المشترك المعقود حالياً. فمنذ أن قدم استقالته نفض يديه من كل المشوليات ولزم بيته، وربما كان هو الوحيد الذي لم يسجل مذكراته فيما بعد. أما البعض الآخر فكان يؤكد أن النبأ الذي كان يتوقع عبد الناصر الاستماع إليه هو خلاص المقاومة الفلسطينية من الملك حسين انتقاما من المذابح التي نصبت لأفرادها، وكانت أنباء قد أذيعت عن تفاصيل هذا الأمر لم تتأكد صحتها، على أية حال فقد مات عبد الناصر ومات هذا السر معه، وكانت معه أسرار عديد لو كشف النقاب عنها لرسمت تاريخ الثورة الحقيقي وأضاءت العديد من الحقائق التي اكتنفها الغموض.

## فشل عبد الناصر في إقامة الحياة الديمقراطية السليمة ونجح في القضاء على الاستعمار والإقطاع وسيطرة رأس المأل على الحكم

تقييم فترة حكم عبد الناصر سيظل معلقاً إلى أن ينزول الغموض الذى مازال يكتنف بعض أحداث تلك الفترة، وتتضع حقائق تضع النقط على الحروف حول العديد من علامات الاستفهام القائمة، وتجيب على أسئلة واستفسارات دارت حول تلك الأحداث المأساوية والديناميكية والدرامية والأيدلوجيه ويكتمل اكتشاف الوثائق والأسانيد والأدلة. سواء المصرية منها والأجنبية أيضاً من دول لعبت أدواراً هامة وصلت في أحيان كثيرة إلى حد التآمر على مصر وشعبها ومستقبل الدول النامية قاطبة.

عندئذ يمكن تقييم فترة حكم عبد الناصر الدسمة بتأثيرها وتفاعلها وتداعياتها ونتائجها في تلك الحقبة الهامة من تاريخ مصر، ومن ثم يسمكن الوصول إلى التقييم الصحيح لثورة يوليو ككل على المستوى الإقليمي والمستوى العالمي، وعليه فلا الذين رفعوها إلى عنان السسماء، ولا الذين جردوها من ملابسها الداخلية توصلوا إلى هذا التقييم. فكلها استنتاجات واستنباطات وشهادات ورؤية من شخصيات يجوز عليها الخطأ والصواب، وربحا الفترة التي يمكن أن يجوز عليها التقييم الصحيح هي فترة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بعد أن أذيعت الوثائق البريطانية والفرنسية والامريكية، وبعد أن تبينت بعض الوثائق المصرية أما بعد تلك الفترة فما زال تقييمها مبتوراً والرأى فيها مازال مبتسرا. فهزيمة يونيو البشعة لم يستطع أحد من المحللين والمختصين وكتبة المذكرات والخواطر أن يشفى غليل الباحثين. وغم مرور مايزيد عن ربع قرن على هذا الحدث. فلا أحد منهم ان استطاع أن يقطع عما إذا كان ماحدث كان خيانه أم مؤامرة. ولم يستطع واحد منهم أن يحدد مشولية القيادة السياسية ومسئولية القيادة العسكرية عن تلك الهزيمة. حتى الوثائق والمستندات التي كشف عنها محمد حسنين هيكل الذي كان معاصراً لهذه الفترة ومشاركا في أحداثها لم تكتمل بعد منذ انصب اهتمامه على جمع ومناقشة الوثائق الامريكية وحدها دون حصوله على الوثائق الإسرائيلية والبريطانية والفرنسية وغيرها من وثائق دول

كانت مشاركة فى التخطيط لهذه الهزيمة، وإن اختلفت أدوارها وتباينت من ناحية أهميتها، والقدر الذى شاركت به كما أن التحليلات والتعليقات على أحداثها التى أوردها محمد حسنين هيكل إن كانت اتسمت بقدر كبير من الحيدة والنزاهة والحيدة والبعد عن التحيز، فإنها لم تخل من المتعاطف معها فى أحيان كثيرة بحكم تشيعه لعبد الناصر وثورته.

على أنه رغم التقييم الأعلامي الذي كان سمة لاخلاف عليها خلال تلك الفترة، ورغم غياب الحرية والديمقراطية التي كانت السبب الرئيسي والجوهري في هذا الغموض الذي حجب الحقيقة عن أعيينا. فإن هناك قضايا كان الإجماع عليها قائماً عند تحديد ماتم وما لم يتم من اهداف الثورة السنة التي أعلنها عبد الناصر مع بداية نجاحها، فالإجماع قائم على أن عبد الناصر نجح في تحقيق أهداف ثلاثة من تلك الأهداف الستة إلى حد كبير. فقد نجح في الـقضاء على الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على دفة الحكم، ولكنه فشل في إقامــة الحياة الديمقــراطية السليمة والعدالة الاجــتماعية والجـيش الوطني القوى، وفشل عبد الناصِر في تحقيق تلك الأهداف يرجع إلى أنه كان مشغولا بتأمين ثورته ضد أعدائها في الداخل والخارج. الذين حاولوا الأنقفاض عليها مرات عديدة، ولذلك لم يستطع عبــد الناصر أن يحل تلك المعادلة الصــعبة. فلم يستطع التوفــيق بين إطلاق حرية التعبير فيما يذاع وينشر ويطبع، وبين تأمين الثورة ضد من يريدون ابتلاعها رغم محاولاته العديدة. ولكي نكون منصفين وعادلين وجادين ونحن نقيم دور الثورة في مـجال الحرية والديمقراطية والنهوض بأدوات الإعلام والشقافة والأدب والفن في ثورة يوليو ينبغي ألا نغمط حقها. وينبغي أن نفرق بين جوهر ومضمون ما كانت هذه الأدوات تنقله إلى الشعب وبين المنشآت الضخمة التي شيدتها الثورة في هذا المجال التي أسهمت أسهاماً إيجابيـًا وفعالًا في تطويرها لتـواكب التطور في وسائل الاتصـال والتكنولوجيا. فـالإذاعة كانت عملاقه بموجاتها المتبعددة وقوة محطات إرسالها، واللغات واللهجات التي كانت تذيع بها. بحيث وصل إرسالها إلى العديد من أنحاء العالم ينقل الحضارة والتطور والثقيافة المصرية، وهي التي أنشأت التليفزيون في عام ١٩٦٠ على الرغم من المعارضه

التي كانت قائمة وقد تذاك ومطالبتها بتوفير نفقاته لمواجهة الحالة المعيشية. التي كانت قد بدأت تسوء، ويصعب مواجهتها على الغالبية العظمى من الشعب. وهي - أى الثورة أو عبد الناصر التي كانت سباقه في رصد الجوائز التشجيعية والتقديرية التي كان لها الفضل الكبير في تنشيط حركة الأدب والثقافة والفكر في الستينيات على الأقل، وهي التي أنشأت أكاديمية الفنون ومعاهدها المختلفة وهيئات الثقافة الجماهيرية والكتاب والفرق السيمفونية وفرق الموسيقي التي وسعت دائرة المشتركين في النشاط الإعلامي والدولي والثقافي، وفي مجال الفن، وهي التي أنشأت وزارة الثقافة التي نشطت المسرح، وأصبح في مصر ١٤ فرقه مسرحية بعد أن كانت لها فرقة واحدة هي فرقة المسرح القومي.

وللحق والحقيقيـة فإن الثورة في مرحلتـها الأولى من عام ١٩٥٢ وحــتي عام ١٩٥٦ وماتلاها من أعوام حقبة عبد الناصر حاولت جاهده حل المعادلة الصعبة التي تحدثنا عنها، ولكن يؤخذ عليها أنها في محاولتها هذه لم تستطع أن تتحمل الآثار المرتبة على إفساح المجال الكامل للحرية والديمقراطية. وعلى سبيل المثال لاالحصر فإن أول محاولة كانت مبكره جداً. فبعد ممرور عام أو يزيد قليلاً على قسيامها . أي في النصف الشاني من عام ١٩٥٣ عندما دعا عبد الناصر \_ وهو رئيس للوزراء ومحمد نجيب رئيساً للجمهوري المفكرين والمثقفين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف آنذاك قبل التأميم للالتقاء به في مجلس الثورة وكانت الرقابة قد رفعت وعم البلاد جو من الديمقراطية والحرية استمتعت فسيه الصحافة وأدوات الإعلام بحرية التعبيس والتمني والنقد. وأجمعت وقعتذاك على ضرورة عودة الجيش إلى ثكناته وعمودة الحكم إلى المدنيين، وهو ما كان يطالب به محمد نجيب، والغريب أنه في ذات الـوقت كان الشعب يتظاهر في صـخب كبيـر ويطالب ببقـاء الثورة والجيش في الحكم، ويعلن رفضه للديمقراطية والحرية والدستور، ويهتف لسقوطها جميعاً، وكان موقفاً غريباً يوحى ويؤكد بأن هناك صنعة ولعبا من جانب الثورة، لأنها لم تستطع أن تتحمل آثار منحها الديمقراطية والحرية. فأعادت الرقابة على الصحف وأعقب ذلك مذبحة الصحفيين ومذبحة القضاء والتنكيل بكل كاتب أوصحفي تجرأ وطالب بعود الجيش إلى ثكناته والاكتفاء من الثورة بطردها للملك وتغيير نظام الحكم من الملكية إلى

الجمهورية. وقسد حار المراقبون في تحليل هذه الظارهرة الغريبة. شسعب يتادي بقتل الحرية والديمقراطية، ومفكروه ينادون بتوسيع نطاق الحرية والديمقراطية، وحكام يحاولون منحها بالقطارة بما يتفق مع مصلحتهم هم، وليس بما يتفق مع مصالح البلاد العليا، ولم يجدوا من تبرير لهــذه الظاهرة سوى قـولهم بأن الإصلاحات والإنجـازات العملاقـة التي أتي بها عبد الناصر في حكمه الدكتاتوري والشمولي بهرت الشعب المصرى كما بهرت الشعوب العربية. فلهم يستجب لعبد الناصر عندما حاول إقامة حياة ديمقراطية سليمه التي نص عليها المبدأ السادس من مبادئ الثورة، وأنا لست مع هذا الرأى. فالشعب الذي لم يستجب للديمقراطية والحرية استجماب إليها فيما بعد. بل وطالب بها وإنما في تصوري أن سبب فيشل عبد الناصر في محاولاته إقامه الديمقراطية وبناء صرح الحرية أن الثورة لم تهيئ له ذلك، ولم تقدم له من الأمان مايجعله يثق في وعودها ويدعمها، وإنما الثورة حركت عناصر معينة لقيادة تلك المظاهرات لتخرج من المأزق التي وضعت فيه، وكاد أن يطيح بها. فالشعب الذي عرف الحرية والديقراطية هو نفس الشعب الذي لم يقبل فيما بعد على الانتخابات والاستفتاءات الستى أقامتها الشورة وإنما فوجئ بأن نتيجة هذه الاستفتاءات كانت تقترب من الإجماع والكتاب الذين طالبوا بالحرية والديمقراطية ونكل بهم لجأوا إلى الكتابة بالرمز خوفاً على حياتهم، ومعنى هذا أن الثقة بين الشعب وحكامه كانت مفقوده تماما.

## الشعب المصرى برئ من (ية مسئولية في هزيمة يونيو مسئولية الهزيمة كاملة يتحملها النظام برموزه العسكرية

الشعب المصرى برئ من أية مسئولية في هزيمة يونيو. مسئولية الهزيمة كاملة يتحملها النظام برموزه العسكرية.

لاجدال في أن نكسة يونيو \_ كما سماها عبد الناصر \_ كانت نتيجة حتمية لسلبيات وأخطاء وقعت فيها الثورة خلال مسيرتها منذ أن قامت إلى أن حدثت الهزيمة الشنعاء. وهي فترة بلغت من الزمن خمسة عشر عاماً كاملة أو أقل قليلا تحدت فيها الثورة قوى كان لها وجود قوى بين شرائح المجتمع، تحدت الأحزاب وتحدت الملاك وأصحاب رأس المال، وتحدت الوجود الاجنبي الذي كان يعشش في مصالحنا الحكومية وهيئاتها ومؤسساتنا، ولكنها استبدلت هذا الوجود بوجود أجنبي آخر لم يكن أحسن حالا من الوجود الاجنبي الذي سبقه. فقد كان الوجود الاجنبي قبل الثورة وجوداً غربيا والوجود خلال الثورة كان وجودا شرقيا سوفيتيا على وجه التحديد. بدأ في أعقاب الحصول على صفقة السلاح التشيكي عام ١٩٥٥.

ومنذ ذلك التاريخ دخلت الثورة في حلبة الصراع بين الشرق والغرب، ولكنها لم تستطع أن تدير هذا الصراع لصالحها وصالح الشعب، بسبب جهل وفودها العسكرية بألاعيب السياسة وحبائلها ومقالبها، والمأخوذ على أسلوب الثورة في هذا الصراع أنه كان يقوم على أساس من لم يؤيدنا ليس منا ـ أي هناك خطان أبيض وأسود، فطردت الغرب وارتحت في أحضان الشرق. وهي التي أسست مبدأ الانحياز وقد ساق عبد الناصر تبريرات عليدة لخروجه عن سياسة عدم الانحياز. فقد قال بعد هزيمة يونيو بعد أن عرض على السوفييت التحالف معهم والتخلي عن سياسة عدم الانحياز قال: اننا في الحقيقة نعتبر منحازين في الأصل. ومن أجل ذلك تعرضنا للعدوان عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ كما نتعرض لعدوان آخر مادمنا نسير في هذا الخط. وأضاف: المهم بالنسبة لنا نشوف فين مصلحة بلدنا. لذلك علينا أن ننظم التعاون بيننا لأنه من غير المنطق أن أكون محايداً بين

إللى بيضربنا وإللى بيساعدنا فإذا كنا نطلب منكم أن تكونوا معنا في وقت الحرب. فيجب أن نكون معكم أيضاً في وقت الحرب ووقت السلم، ونحن مستعدون أن نعقد اتفاقية سرية أو علنية.

والمواقع أن عبد الناصر بشهادة أعدائه وشهادة محببيه ومريديه كان زعيماً وطنيا يتبع السياسة التي تؤيد استقلال بلده وحريتها كلما أمكن ذلك. فقــد حارب الأحلاف الأمنية وعقد اتفاقيــة الجلاء لإخراج القوات البريطانية من مصر، ولكن كان هناك مــــمار جحا. فقد كان هناك أجزاء من قاعدة قناة السويس يقيم فيها خبراء بريطانيون بملابسهم المدنية. كانوا في حالة استعداد لعودة القوات البريطانية في حالة وقوع هجوم مسلح من دولة في الخارج على أي بلد يكون طرف في معاهدة الدفاع المسترك بين دول الجامعة العربية، أو على تركيا وهو ما أشار إليه الدكتور محمود فوزى السياسي المخضرم وخاف من نتائجه، ولكن عبد الناصر كان ينقصه الخبرة والحنكة السياسية لإدارة دفة هذا الصراع بين الكبار، وهو ما أشار إليه نهسرو الزعيم الهندى بقوله: إن عبد الناصر في حساجة إلى بعض الشعر الأبيض ومن هذا المنظور يمكننا القول أن عبد الناصر كان على حق عندما عادت الغرب، وكان على حق أيضاً عندما ارتمى في أحضان السونيت. لأنه فعل ذلك بهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلي والهزيمة التي مني بها، وفعل ذلك بهــدف تأمين استقلال مصر وأمنها القومي. إلا أنه لم يسلم من تآمر الغرب عليه وعدم وقوف الروس المواقف التي كانت التآمر على عبد الناصر. باختصار كان الغرب والشرق على السواء مستغلين مستفدين لثروة مصر مسيطرين عليها، فإذا كان الغرب عندما كان سيد الموقف في مصر \_ قد استولى على الذهب المصرى الأبيض، وهو القطن وأرسله إلى مصانع لانكشير في بريطانيا. فإن الشرق رهن هذا الذهب المصرى لسداد ثمن شحنات الأسلحة التي كان يصدرها لمصر، وكل ذلك فت في عضد الاقتصاد المصرى ونخر فسيه كما ينخر السوس في الخشب فتردى وتعرى وضعف. وقيل بحق إن الثورة تسلمت الاقتصاد المصرى وهو في أوج مجده وتركته وهو في أوج نحسه.

على آنه مهما قبل فى تقييم ثورة يوليو مشوها إنجازاتها الراتعة، ومقللا من مجدها السياسى والاقتصادى. فإن هناك حقائق ستظل شامخة فى تاريخها المجيد لن يستطيع أحد أن يطمسها أو يتجاهلها. فكما قال المؤرخ الكبير الدكتور حافظ رمضان فإن عظمة ثورة لاسم وليو إنما تكمن فى شئ واحد وهو أنها استجابت لحاجة المجتمع المصرى إلى التغيير ليتخلص من فساد الملك وزمرته ويطبق الشعارات التى نادى بها مفكروه وعلماؤه ليستمر نضاله من أجل الحرية والتقدم، وتزول من طريقه طبقات الإقطاعيين والمحتكريين لعرقة وجهده، وقد نجحت الشورة فى نقل البلاد من الاقتصاد الزراعي الراكد إلى الاقتصاد الصناعي المتقدم، وهو إنجاز حقيقي لشورة ٣٣ يوليو الذي لايستطيع أن يمارى فيه أحد. فقد نقلت البلاد حضاريا من المرحلة شبه الإقطاعية إلى المرحلة السرأسمالية. ومن المرحلة المرأسمالية إلى المرحلة السرأسمالية المناسية المناسمالية إلى المرحلة السياسية المناسمية المناسمالية المناسمة المناسمية المناسمية المناسمية المناسمة المناسمية المناسمة ا

ولكن أين كان الشعب المصرى في حلبة هذا الصراع الذي رفعته الثورة مع الكبار وهو السيد مصدر السلطات والتشريع؟، هذا الشعب يحلو للبعض عندما يقيمون أسباب نكسة يونيو، ويصنفوا أسبابها ودوافعها وتحديد مسئولياتها أن يحمل هذا الشعب جزءا من المسئولية عن هذه الهزيمة. والشعب برئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، والجزء من هذه المسئولية الذي يحملوه للشعب يحملوه من منظور أن الشعب ابتلع الطعم الذي قدمته له الثورة، والذي صور له بطولات للثورة لاتعادلها أية بطولة. فهي التي أسقطت النظام الملكي البغيض، وقضت على الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم، وأنها الحامية لحقوقهم التي افترسها عهد ماقبل الشورة وقادهم إلى حكم النصف في المائة، الذي تمتع وحده بالحياة الرحبة السخية. أما الغالبية العظمي من الشعب فقد ظلت مطحونة عشرات السنين تمتص هذه القلة قوتهم ودماءهم لتعيش في القصور الشاهقة وتركب السيارات

الفارهة. بينما الغالبية العظمى تعيش فى أكواخ لاتصلح للإدمين وكأن الحياة الكريمة ليست من حقهم، وإنما هى من حق تلك الفئة المرفهة. هم السادة وهؤلاء العبيد لهم، وصدق الشعب الطعم واستكان له ولم يهب فى وجه رجال الثورة دفاعاً عن حقوقهم ضد أى مساس أو نقصان.

نحن لسنا مع هذا الرأى. فصحيح أن الثورة خدرته بمعسول الكلام وحلو الشعارات ونجح إعلامهـا في هذا المجال إلى حد كبيــر في تركيز الأضواء على عبــد الناصر وحده. ولكن من المنظور الحقيقي فإن الثورة فرضت عليه قبضة حمديدية لم يستطع تكسيرها في مرات عديدة صاح فيها وغضب وزمجر واعترض وثار، ومنها أحداث شبر الخيمة وحلوان وكفر الدوار والأنقلابات المتعددة التي قيام بها الضباط والجنود، ولكن الثورة استطاعت أن تخمدها بين غمضة عين وانتباهتها، واستطاع إعلامها أن يمحوها من ذاكره هذا الشعب. بحيث لم يعرف أحد تفاصيلها ولا بالضبط ماحدث بها. قــد يكون هؤلاء يؤمنون بهذه النظرية على أساس أن هذا الشعب أيد عبد الناصر عندما فتح أبواب الحرية وأعلن الديمقراطية، وأيده عندما قـتل هذه الحرية ودفن تلك الديمقراطية. ونادى بالدكـتاتورية والشمولية. إلا أنه يعفى هذا الشعب من هذه النظرة أن عبد الناصر كان قد بهره بقراراته التي كانت معظمها إنصافا له ولأولاده والأجيال من بعده، فترك له الحبل على الغارب إيمانا منه وبه إنه \_ أي عبد الناصر قادر على تحويل الهزائم الى انتصارات، والنكسات إلى إيجابيات. كما أن المألوف أن الشعوب تحت نير الحكم الشمولي لاتستطيع أن تفعل شيئاً فحركاتها محسوبة وأنفاسها مجبوسة. ولذلك ليس من الإنصاف أن نحمل شعب مصر ذرة من الهزيمة التي منيت بها قواته المسلحة، ولايمكن أن نحمله مستولية أي تقصير حدث في مسيرة ثورة يوليو الطويلة.

## «مؤلف الكتاب»

- م تخرج في كلية الآداب عام ١٩٥١ وحصل على ماجستير في التحرير والترجيمة والصحافة عام ١٩٥٥ وحضر عدة دورات للإعلام والسياسة والاجتماع.
- ـ تدرج في المناصب الإذاعية والإعلامية والصحفية إلى تولى منصب وكيل أول وزارة الإعلام، ومستشار الوزير.
- ـ تولى منهام الإعلام فني رياسة الجنمهورية من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٤ وعمل مستشاراً صحفيا في لبنان.
- حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، وعلى درع الإعلام، وعلى جائزة التأليف القومى عن كتابه «في المعركة الفاصلة مع العدوان الثلاثي».
- عاصر الأحداث عن قسرب بحكم المناصب التي تبولاها، ورافق الرؤساء المصريين في جميع زياراتهم الخارجيه، وأسهم في موتمرات القمة العربية والقمة الأفريقية ودول عدم الانحياز، والمؤتمرات الإعلاميه المتخصصة، وحصل على العديد من الأوسمه والنياشين وشهادات التقدير من رؤساء وملوك هذه الدول.
- انصهرت الأحداث في بوتقة فكره حتى أصبح واحدا من المراقبين والمعلقين السياسيين المشهود لهم بالتعمق في مشاكل الشرق الأوسط وقضايا العالم.
- عضو نقابة الصحفيين العالميين والمجالس القومية المتخصصة واتحاد الصحفيين الأفريقيين، وله مؤلفات عديدة عن الإعلام والسياسة والاجتماع.

رقم الإيداع ٥٠٠ ٣٩/٧٩

الترقيم الدولي: 6-177-208

To: www.al-mostafa.com